معالم الحضارة فى العصر الصفوى من خلال كتب الرحالة

مصطفى موسى محمد شرف

أستاذ الحضارة الفارسية المساعد

آداب المنوفية

إصدار شهر يوليو لسنة ٢٠١٩

شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

مقدمة :

" إن الحضارة ؛ أى حضارة ؛ هى جزء من سلسلة دائمة التواصل ، مستمرة العطاء ، لا يمكن فصلها عن غيرها من الحضارات الأخرى ، سواء كانت سابقة ، أو لاحقة ، فالحضارة الإنسانية متصلة منذ وطأ الإنسان الأرض و أقام أول حضارة عرفها الأنسان "[١]. و الجدير بالذكر أن كلمة الحضارة قد تعددت تعريفاتها و معانيها ، فنجد المعنى اللغوى : " أن الحضارة بفتح الحاء و كسرها تعنى الإقامة فى الحضر ، و الحاضرة هى المدينة التى يقيم فيها رجال الحكومة " [٢]. و يرى دكتور طه ندا : " أن الحضارة هى كلمة تطلق على كل ما يتصل بالتقدم و الرقى فى المجالات المختلفة كاللغة و الأدب و الفنون الجميلة ، و الصناعة و التجارة و غير ذلك من مظاهر النشاط الإنسانى الذى يؤدى إلى التقدم و الرقى و ييسر السبيل إلى حياة إنسانية كريمة " [٣]. و يرى دكتور حسين مؤنس : " أن الحضارة فى مفهومها العام هى ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أو غير مقصود، و سواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية " [٤].

يواجه الباحث فى دراسته للموضوعات الحضارية إشكاليات فى كتب التاريخ ، و التى من بينها الاعتماد على كتب المؤرخين الذين أرّخوا للفترة موضوع الدراسة ، و يمكننا تصنيف كتب التأريخ وفقاً للمؤرخ المحلى إلى صنفين ؛ مؤرخ يرصد الأحداث و يسجلها بحيادية ، و هدفه هو التأريخ للتأريخ ، و مؤرخ يرصد الأحداث بهدف إبراز مكانة و أهمية الحاكم فقط، فيأتى عمله خليطاً بين الحقيقة و التملق . لذا يجد الباحث ضالته فى صنف أخر من كتب التاريخ و التى كتبت ليس بهدف التأريخ و لكن بهدف دراسة البلد الذى يقوم الكاتب بزيارته لأسباب متعددة . فالكاتب فى هذه الحالة يكتب تقريراً إنفاداً لأسباب زيارته لهذا البلد . وهذا النوع من الكتب يعرف بـ " أدب الرحلات " و فى الفارسية بـ " سفرنامه " .

١- الشاذلى : أحمد عبد القادر (دكتور) ،الحضارة الإسلامية و قطوفها الدانية فى علوم اللغة العربية و اللغات الإسلامية ، دار الحسين للطباعة و النشر ، شبين الكوم ،١٩٩٦ م، صـ ٣

[٢] - مصطفى : ابراهيم و أخرون ، المعجم الوسيط ، القاهرة ، دار المعارف ، مادة (حضر) ، ١٩٦٠م

[٣] - ندا : طه (دكتور) ، فصول من الحضارة الإسلامية ، بيروت ، ١٩٧٦م ، صـ٩

[٤] - مؤنس : حسين (دكتور) ، الحضارة ، الكويت ، ١٩٧٨م ، صـ ١٣

و عن أهمية هذا الصنف من المؤلفات ، يقول غلامرضا سميعى : " تعتبر كتب الرحلات بالنسبة لبلدنا من المستندات و الوثائق التاريخية الموثوقة ، فقد كان المؤرخون فى تلك الآونة ؛ و منذ زمن بعيد ؛ مقهورين من السلاطين المستبدين و الحكام " [٥]. و من هذا المنطلق تأتى أهمية الدراسة و التى تعتمد اعتماداً كلياً على ما ورد فى كتب الرحلات التى خطها الرحالة الأجانب خلال زيارتهم لايران الصفوية .

تقوم الدراسة على تحليل و وصف ما رصده الرحالة الأجانب من مظاهر حضارية فى الدولة الصفوية ، من خلال ترحالهم و تجوالهم فى مدن ايران المختلفة و قراها و مناطق تجمّع بدوها ، من قصور ملكية و ما تحويه و أسواق تجارية و رباطات فضلا عن الجسور و القناطر ، مع توضيح هدف هؤلاء الرحالة من زيارة ايران ، و من أين دخلوا هذا البلد ، و من أين جاءت قوافلهم و بعثاتهم .

و قد انتهجت فى هذه الدراسة ، والتى جاءت تحت عنوان "جوانب من الحضارة الصفوية من كتب الرحالة الأجانب" ، المنهج التحليلى ، وقسمتها إلى خمسة مباحث مسبوقة بمقدمة ، و مختومة بأهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة ، على النحو التالى :

المبحث الأول : تحت عنوان ، التعريف بالكتب التى قامت عليها الدراسة و كاتبيها ، و تناولت من خلاله التعريف برؤساء البعثات و التجار و الرحالة الذين زاروا ايران فى تلك الحقبة ، مع التركيز على جنسياتهم ؛ أسباب توجههم إلى ايران ؛ من أين دخلوا ايران ؛ و أيضاً نبذة مختصرة عن المخطوط و تاريخ ترجمته و طباعته ، لما لكل ذلك من انعكاس على الدراسة .

المبحث الثانى : و جاء تحت عنوان ، القصور ، و تضمن وصف الرحالة الأجانب للقصور فى ايران الصفوية و هندستها المعمارية ، و لم يقف الوصف على القصور الملكية فحسب ، بل وصف الرحالة الأجانب أيضاً قصور الحريم ، و هو ما لم يكن متاحاً للمؤرخ الايرانى ، و أيضاً تضمن الوصف القصور التى أقامها الولاة فى ولاياتهم و التى أقام بها الرحالة أثناء عبورهم الأراضى الايرانية متوجهين للقاء الشاه .

---

[٥] - سميعى : غلامرضا ، ترجمهء سفرنامهء دن گارسيا دسيلوا فيگوئروا ، سفير اسپانيا در دربار عباس اول ، تهران ، نشر نو ، ١٣٦٣هـ.ش ، صـ١

المبحث الثالث : و عنوانه ، الرباطات ، و هى من أكثر الأماكن التى نزل بها الرحالة الأجانب خلال تنقلهم من مدينة إلى أخرى ، و لم يقتصر الأمر عند حد وصف تلك الرباطات على الطرق بين المدن ، بل وصف أيضاً الرحالة الأجانب الرباطات الصغيرة الموجودة داخل و بجوار الأسواق .

المبحث الرابع : وعنوانه ، الأسواق و المقاهى ، و هى من الأماكن ذات الأهمية بالنسبة للرحالة الأجانب و التى تأتى ضمن الأهداف التى من أجلها توجههوا إلى ايران ، فالأسواق هى ميادين التجارة و عصب الاقتصاد ، و قد أقيمت المقاهى بجوارها لقضاء أوقات الفراغ فضلا عن عقد اللقاءات و إبرام الصفقات التجارية .

المبحث الخامس : و جاء تحت عنوان ، الجسور و القناطر ، و كلاهما من الإنشاءات الحضارية بالغة الأهمية ، فهى وسيلة الربط بين المدن التى يوجد عائق مائى أو منخفض أرضى يحول دون التواصل فيما بينها ، و إقامة الجسور يقرّب المسافات و يسمح بالتبادل التجارى و تُعد أيضاً مكاناً للترفيه و التخفيف من حرارة الجو صيفاً ، بالإضافة لاستخدام بوابات الجسور فى تحويل المياه لاستخدامها فى الزراعة .

هذا ، و ما كان من توفيق فمن الله ، و ما كان من تقصير فمن نفسى ، و على الله قصد السبيل .

المبحث الأول :

التعريف بالكتب التى قامت عليها الدراسة و كاتبيها :

يهدف هذا المبحث إلى التعريف بكتب " سفرنامه " التى تعتمد عليها الدراسة ، و من قام بكتابتها ،و من أين أتى ؟ و من أين دخل إلى ايران و ما هوهدفه من زيارة ايران ؟ لانعكاس سبب زيارته لايران على ما قام بتدوينه ، إما بهدف التأريخ لرحلته ، أو بهدف تقديم تقرير للملك الذى أوفده إلى ايران .

قبل الخوض فى التعريف بالرحالة الأجانب و كتبهم التى كتبوها حول زيارتهم لايران الصفوية ، ننوّه إلى أن هذه الرحلات ؛ سواء كانت شخصية أو مبعوثة من جانب ملوك أوربا ؛ لم تكن الأولى لايران ، فقد شهدت بلاد فارس رحلات متعددة على مر تاريخها لأخرين[٦] ، خاصة خلال فترة حكم المغول و الإيلخانيين و التى كان من أهم أسبابها العمليات التبشيرية بالدين المسيحى بمختلف مللة ، و وضع الخلافة العباسية ؛ قبل أن يُسقطها الهجوم المغولى ؛ بين شقىّ الرحى الأوربية - المغولية ، و أيضاً كان للعمليات التجارية و الاقتصادية نصيباً من هذه الزيارات[٧] .

أما فى الدولة الصفوية ، و بعد توحيد مدن ايران تحت الحكم الصفوى ، و أصبحت ايران رقعة جغرافية موحدة و دولة واضحة المعالم ذات إمكانيات اقتصادية عدة ، و تحوّلها إلى المذهب الشيعى الاثنى عشرى ، كثرت رحلات الأجانب إلى ايران و الذين كانوا من جنسيات مختلفة و مشارب متنوعة ، فمنهم السفراء و التجار

---

[٦] - نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :
ابو الدلف الينبعى : سعر بن المهلهل ، ترجمهء سيد ابو الفضل الطباطبائى ، با تعليقات و تحقيقات : ولاديمير مينورسكى استاد دانشگاه لندن ، تهران ، انتشارات زوار ، چاپ دوم ، ١٣٥٤ هـ . ش
ابن جبير : محمد بن احمد ، سفرنامهء ابن جبير ، ترجمهء پرويز اتابكى ، مشهد ، چاپ و انتشارات آستان قدس رضوى ،١٣٧٠ هـ . ش
ابن بطوطة : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجى ، تحفة النظّار فى غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩١٧ م

[٧] - للمزيد من المعلومات ؛ الرجوع إلى :
شيولر : برتولد ، العالم الإسلامى فى العصر المغولى ، تعريب : خالد أسعد عيسى ، دمشق ، دار حسان ، ١٩٨٢ م
الصياد : فؤاد عبد المعطى (دكتور) ، المغول فى التاريخ ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠م
حمدى : حافظ أحمد (دكتور) ، الدولة الخوارزمية و المغول : غزو چنگيز خان للعالم الإسلامى و آثاره السياسية و الدينية والاقتصادية و الثقافية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٤٩م
ابن الأثير : عز الدين أبى الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الجزرى ، الكامل فى التاريخ ، بيروت ، دار الصادر ، ١٩٨٢م

و منهم الساسة و العسكريين و المبعوثين الشخصيين للملوك . هؤلاء أقاموا فى ايران ، و جالوا فى مدنها و طرقات قراها و أوديتها و بياديها ، و رصدوا كل ما وقعت عليه أعينهم و ما وصل إلى آذانهم باعتبارهم محايدين فيما يكتبون ، فكانوا شهود عيان على الأحداث ، لذا تحظى مؤلفاتهم بالأهمية .

نقطة أخرى تجدر الإشارة إليها و تعكس أهمية ما قام أولئك برصده فيما كتبوا ألا و هى اختلاف الصفة التى أتى بها هؤلاء إلى ايران ، و كل ذو صفة يعمل على رصد المعلومات عن البلد المرسل إليه لخدمة بلده سياسياً و اقتصادياً و عسكرياً .

سفرنامهء برادران شرلى :

يُعد الكتاب من الكتب ذات الأهمية فى دراسة تاريخ الدولة الصفوية و قد تُرجم عدة مرات ، ترجمه للمرة الأولى شخص يدعى " آوانس " و الذى أوضح أنه عند تواجده فى بريطانيا عثر فى مكتبة المتحف البريطانى على النسخة الخطيّة لهذا الكتاب ، و نظراً لعلاقته بالوثائق التاريخية المرتبطة بايران ، قام بترجمتها لكنه لم يذكر ؛ على وجه التحديد؛ تاريخ الترجمة و لا توجد معلومات كافية عن هذا المترجم ، و يعتقد دكتور "محبت آئين" أن هذا الشخص كان من معاونى المرحوم اعتماد السلطنة و قام بترجمة المخطوط ليكون موضع فائدة لـ "ناصر الدين شاه" ، إلا أن هذه الترجمة لم تطبع إلا فى عهد "احمد شاه" بجهود "على قلى خان سردار اسعد" و باهتمام "احمد مشير" عام ١٣٣٠هـ.ش ، و فى عام ١٣٥٧هـ.ش أعيد طباعة الترجمة بمقدمة و توضيحات للدكتور "محبت آئين" ، و فى عام ١٣٦٢هـ.ش أعاد "على دهباشى" طباعتها للمرة الثالثة ، و كانت الطبعة الرابعة للترجمة مزيدة بعدة مقالات للدكتور" نصر الله فلسفى" و "عباس اقبال" بالإضافة لمقدمة "محبت آئين" ، و زيدت الطبعة الخامسة ؛ بالإضافة لما حوته الطبعة الرابعة ؛ بمقال لـ "احمد شعبانى" ، و ما تقوم عليه الدراسة هى المرحلة السادسة لطباعة الترجمة و التى قام عليها "على دهباشى"[٨] .

ولد الرحالة الانجليزى آنتونى شرلى عام ١٥٦٥م و توفى عام ١٦٣٥م ، و حصل على لقب " سير " و له أخوان يصغرانه سناً هما ربرت و توماس . أما شقيقه ربرت و الذى حصل أيضاً على لقب " سير " ، كان ميلاده عام ١٥٨١م و توفى عام

[٨] - دهباشى : على ، سفرنامهء برادران شرلى ، تهران ، نگاه ، ١٣٦٢هـ.ش ، المقدمة

١٦٢٨م[٩] . أثناء وجود السير آنتونى و شقيقه ربرت فى فينسيا ، أوفد ربرت إلى دوق دفلورانس فى فرنسا ، و خلال تلك الفترة ، التقى آنتونى بتاجر ايرانى كان يشترى بضائع بأمر شاه ايران غير متوافرة فى الأسواق الايرانية ، مثل الأقمشة الانجليزية الحريرية و الكتانية ، تحدث التاجر الايرانى مع السير آنتونى عن مكانة شاه ايران و عظمته ، تزامن ذلك مع حضور سائح يدعى آنجلو من ايران إلى فينسيا ، وهو مسيحى من مواليد الامبراطورية العثمانية ، التقى آنتونى و تحدث معه عن شاه ايران و رشادته و عطفه على الأجانب و معاملته للمسيحيين . اقترح آنجلو على السير آنتونى أنه إذا توجه إلى ايران ، فسيكون ذلك من دواعى ثراءه ، و أبدى آنجلو استعداده للسفر مع السير آنتونى إلى ايران إذا رغب الأخير فى السفر لهذا البلد[١٠] .

عقب وصول آنتونى شرلى إلى قزوين[١١] ، استقبله الشاه عباس استقبالا حاراً ، و اقترح أن يرسله سفيراًعنه إلى أوربا لبحث التحالف ضد العدو المشترك – الامبراطورية العثمانية - ، و أرسل معه "حسينعلى بيگ بيات" للاتفاق أيضاً على تجارة الحرير الايرانى و التى كان يحتكرها الشاه . تحرك الوفد إلى روسيا و النمسا و ميونيخ ثم فينسيا ؛ التى كانت آنذاك تجرى مفاوضات مع الجانب العثمانى ؛ فلم تقبل ما أتى به الوفد الايرانى . تحرك الوفد بعد ذلك إلى روما ، حيث ترك السير آنتونى "حسينعلى بيات" بها و عاد إلى فينسيا و اتخذ منها ملجأ له ، ثم سافر إلى إسبانيا و التحق بخدمة ملكها و توفى و دفن بها[١٢] .

فى عام ١٦٠٩م ، أوفد الشاه عباس ربرت شرلى إلى أوربا لاستكمال مأمورية شقيقه . توجّه ربرت إلى النمسا حيث التقى رودولف الثانى الذى منحه لقب كونت " پالادين " نظراً لجهوده فى الحرب ضد العثمانيين ، ثم توجه ربرت إلى روما حيث التقى البابا بول الخامس و منها إلى إسبانيا ثم بلاط جيمس الأول ملك انجلترا ، و هناك أوأدت شركة الهند الشرقية مهمته لعقد اتفاق تجارى يشمل تجارة الحرير مع

---

[٩] - المرجع السابق : المقدمة

[١٠] - المرجع السابق : صـ ١٨-١٩

[١١] - للوقوف على المعلومات الجغرافية الخاصة بالمدن و القرى التى مر عليها الرحالة الأجانب ، الرجوع إلى : فرهنگ جغرافيائى ايران ، از انتشارات دايره جغرافيائى ستاد ارتش ، تهران ، چاپخانه ارتش ، ١٣٢٨هـ.ش

[١٢] - هوشنگ مهدوى : عبد الرضا ، تاريخ روابط خارجى ايران ، تهران ، امير كبير ، ١٣٩٣هـ.ش ، صـ٥٥

ايران ، حفاظاً على مصالحها فى الهند و تجارتها مع الامبراطورية العثمانية ، إلا أن ملك انجلترا منحه لقب " سير "[١٣] .

نقطة أخرى تجدر الإشارة إليها ، ألا و هى نقطة الدخول إلى ايران ، فمن أى منطقة كان دخول الأخوان شرلى و مرافقيهم إلى ايران ؟ يجيب على هذا السؤال كاتب " سفرنامهء برادران شرلى " موضحاً أن دخول ايران كان عن طريق الأراضى العثمانية ، و تحديداً دخلت القافلة من منطقة تدعى " حيدر بيك " يحكمها ملك على وفاق و عهد مع شاه ايران ، و على عداء مع الامبراطورية العثمانية[١٤]، مما يعنى أن قافلة الأخوان شرلى دخلت ايران من جهة الغرب .

أما فيما يتعلق بالكتاب ، فمن الملاحظ أنه لم يكتب من جانب الأخوان شرلى ، و يتضح هذا من خلال صياغة الجُمل الواردة بالمتن المترجم ، و التى نسوق أمثلة لها : " بعد از اينكه به قدر دو سه ميل از خاك ايران طى كرديم سر آنتونى همهء ما را احضار كرده و به اجتماع به زانو افتاده از خداوند عالم تشكر نموديم كه صحيح و سالم به مقصود رسيده ايم "[١٥]. و فى وداع الشاه عباس لآنتونى كسفير له إلى أوربا : " پادشاه تا دو روز راه از ما مشايعت نمود و با كمال حزن و اندوه از سر آنتونى مفارقت كرد و دست مستر ربرت را گرفته نگاه داشت و ما او را در ايران باقى گذارديم . پادشاه به سير آنتونى گفت كه من برادر شما را مانند فرزند خود عزيز خواهم داشت و تا من پادشاه هستم او هيچ وقت هيچ حاجتى نخواهد داشت "[١٦] .

يوضح المترجم أن كاتب الكتاب هو المدعو " جورج مانو ارنيك " ؛ فقد ورد فى نهاية المتن : " شرحى كه ژوژ مانو ارنيک نوشته تا اينجا ختم مى شود . پس براى فهميدن ما بقى سرگذشتهاى سر آنتونى شرلى لازم است كه به كتاب مختصرى كه " پارى " نام شخص از همراهان سر آنتونى نوشته است رجوع كنيم "[١٧]. و بناءً على ما ورد ، يتأكد للباحث أن جورج مانو ارنيك هو كاتب مرافق للأخوين شرلى فى رحلتهم إلى ايران ، و هو ما يمكن تعريفه بالمصطلح الحديث السكرتير .

---

[١٣] - المصدر السابق : صـ ٥٥-٥٨

[١٤] - دهباشى : مرجع سابق ، صـ ٤٧ و ما بعدها

[١٥] - المرجع السابق : صـ ٤٩

[١٦] - المرجع السابق : صـ٨٥

[١٧] - المرجع السابق : صـ ٨٦

سفرنامهء دن گارسیا دسیلوا فیگوئروا :

دن گارسیا سلیل أسرة نجیبة ، ولد عام ١٥٧٠م فی مدینة " باداخوث " فی إسبانیا ، کان فی شبابه ندیماً للملك فیلیب الثانی (١٥٥٦ – ١٥٩٦م) ملك إسبانیا . ثم التحق بالجیش و کان قائداً للجیش فی الحرب الإسبانیة – الهولندیة عام ١٦١٦م ، أرسله ملك إسبانیا فیلیب الثالث سفیراً لبلاده فی بلاط الشاه عباس الکبیر ، و کان عمره آنذاك سبعة و خمسون عاماً . استغرق سفره إلی الهند و ایران عشر سنوات ، قضی منها عامین و سبعة أیام فی ایران ، اجتاز خلالها من مدن ایران : لار ، شیراز ، اصفهان ، کاشان ، قم و قزوین بالإضافة إلی عشرات التجمعات البدویة و القری .

السفیر الإسبانی سیاسی محنّك و عالم دقیق النظر ، رصد خلال تواجده فی ایران الأوضاع الجغرافیة – السیاسیة لقطاع شاسع من الأراضی الایرانیة و الأوضاع الاجتماعیة لمختلف فئات الشعب فی عهد الشاه عباس الکبیر ، و تحدث بإسهاب عن أخلاق الشاه و سیاسته و إدارته للبلاد و حیاة الشعب بمختلف طبقاته و آدابه و تقالیده[١٨] .

جاءت ترجمة کتاب " سفرنامهء دن گارسیا " إلی اللغة الفارسیة من المتن الفرنسی المطبوع فی باریس عام ١٦٦٧م و الذی قام " ویکفورت "[١٩] بترجمته من المخطوط الإسبانی . و المخطوط الإسبانی لمذکرات السفیر الإسبانی فی ایران محفوظ فی المکتبة الوطنیة بمدرید[٢٠] . جدیر بالذکر أن السفیر الإسبانی التقی فی ایران الانجلیزی السیر ربرت شرلی و الإیطالی پیتروا دلاواله[٢١] ، وهما من أصحاب کتب الرحلات ، بالإضافة لسفیر الامبراطوریة العثمانیة . و حول تدوین المذکرات و کاتبها ، أکد الناشر الفرنسی فی مقدمته للترجمة الفرنسیة للکتاب أن هذا الکتاب لم یُحرر بواسطة فیگوئروا : " این سفرنامه بوسیلهء شخص فیگوئروا تحریر نکردیده بلکه منحصرا بر اساس خاطرات و تقریرات وی ، بوسیلهء یکی از

---

[١٨] - سمیعی : مرجع سابق ، مقدمة المترجم

[١٩] - Abraham de Wicquefort

[٢٠] - المرجع السابق : مقدمة المترجم

[٢١] - شفا : شعاع الدین ، سفرنامهء پیترو دلاواله ، تهران ، نشر شرکت انتشارات علمی و فرهنگی ، چاپ چهارم ، ١٣٨٤هـ.ش

همراهانش در سفر ایران تنظیم و تدوین شده است "[۲۲]. أما بخصوص النقطة التی ولجت منها قافلة السفیر الإسبانی إلی ایران ؛ فقد اجتازت البعثة مضیق هرمز ثم جزیرة لارك ثم جزیرة هرمز ، ما یوضح أن رحلة دن گارسیا کانت فی ایران من الجنوب إلی الشمال و العکس فی طریق العودة إلی إسبانیا[۲۳].

سفرنامهء کمپفر :

طُبع المتن الأصلی عام ۱۹٦۰م ، و جاءت الترجمة الفارسیة للمرة الأولی عام ۱۳۵۰هـ.ش ، و بعد عشر سنوات کانت الطبعة الثانیة ، ثم الثالثة فی عام ۱۳٦۳هـ.ش . و یوضح " والتر هینس " فی الدیباجة جهود المستشرقین فی ترجمة الکتاب إلی اللغة الألمانیة ، و من بینهم : دکتور برتولد شپولر ، ویلهلم ایلرس ، هانس هارتمان و غیرهم .

ولد انگلبرت کمپفر عام ۱٦۵۱م فی " لمجو " بألمانیا ، کان والده یوهانس کمپفر قس هذه المدینة ، بعد أن أتم کمپفر دراسته الابتدائیة فی مسقط رأسه ، سافر إلی هلندا و کان عمره آنذاك سبع عشر سنة ، ثم التحق بالجامعة فی " دانتسیج " (جدانسك حالیاً) ، و درس الفلسفة و اللغات القدیمة و الحدیثة . و فی عام ۱٦۷٤م سافر إلی " کراکوف " لاستکمال دراساته . و عام ۱٦۷٦م تعرّف علی "محمد حسین باقر ایلچی" فی وارسو[۲٤] .

فی عام ۱٦۸۱م أنهی کمپفر دراسة الطب فی بروسیا ، ثم هاجر إلی السوید التی کان یحکمها آنذاك " کارل الحادی عشر " ، و الذی قرر إرسال وفداً إلی بلاد شاه ایران لإقامة علاقات تجاریة و تشجیع شاه ایران علی خوض الحرب ضد الأتراك العثمانیین ، و تضمن الوفد کمپفر طبیباً و کاتباً ، و ترأس الوفد " لودویك فابریتیوس " الذی کان یرغب فی إحضار الحریر الایرانی عن طریق روسیا إلی أوربا لبیعه فی أسواقها[۲۵] .

---

[۲۲] - سمیعی : مرجع سابق ، صـ ۸

[۲۳] - المرجع السابق : صـ ٤۵ و ما بعدها

[۲٤] - شفیعی : سیروس ، مهدی روشن ضمیر ، سیاحان آلمانی که در عصر صفوی از ایران دیدن نموده اند ، ماهنامه هنر و مردم، آبان ۱۳۵۰هـ.ش ، صـ ۱۰۹

[۲۵] - مبین : ابو الحسن ، ایران عصر صفوی از نگاه انگلبرت کمپفر ، ماهنامه کتاب ماه تاریخ و جغرافیا ، آذر ۱۳۷۹هـ.ش ، صـ ۳۷ - ۳۸

وصل الوفد السويدى إلى روسيا عام ١٦٨٣م ، و تشكّل مجلس رسمى لتقديم أوراق اعتماد السفير السويدى إلى القيصر الروسى ، عقب انتهاء المراسم استقل الوفد سفينة فى نهر فولجا متوجهاً إلى بحر الخزر ، و وصل الوفد إلى آستراخان فى السابع من نوفمبر عام ١٦٨٣م[٢٦] . و فى السابع عشر من ديسمبر من نفس العام ، وصل الوفد إلى شماخى عاصمة شيروان . و الجدير بالذكر أن كمپفر كان قد شرع فى تسجيل يوميات سفر الوفد و مشاهداته منذ اليوم الأول باللغة الألمانية ، و هذا المخطوط محفوظ الآن فى المتحف البريطانى بمدينة لندن[٢٧] .

و من خلال ما قام كمپفر بتدوينه من يوميات الوفد السويدى إلى ايران ، ندرك أن دخول الوفد إلى هذا البلد كان من شماله .

سفرنامهء فدتُ آفاناس يويچ كاتُف :

منذ النصف الثانى من القرن السادس عشر تنامت العلاقات التجارية و السياسية بين ايران و روسيا عما كانت عليه قبل هذا التاريخ ، و يرجع السبب فى ذلك إلى بُعد المسافة بين البلدين . ففى تلك الآونة ، كان سكان المناطق الواقعة بين البلدين تابعين للامبراطورية العثمانية ، و التى كانت على عداء مستحكم مع البلدين ؛ و تحمى سكان تلك المناطق . و لزاماً على الراغبين من ايران و روسيا فى السفر من بلدهم إلى البلد الأخر أن يعبروا من تلك المناطق ، مما يُعرّضهم لأخطار الطريق المتمثلة فى السطو على الأموال و البضائع و الوقوع فى الأسر أو حتى القتل . كما شكّلت وسائل النقل البطئ و المستعملة حينئذ عاملا مساعداً للمعتدين على القوافل ، و مع الوضع فى الاعتبار أن تلك القوافل كانت تضم أيضاً سفراء يحملون النفيس من الهدايا إلى حكام بلد المقصد ، يزداد الدافع لدى سكان هذه المناطق لمهاجمتها من منطلق العداء بين الامبراطورية العثمانية التى تحميهم و ايران و روسيا و طمعاً فى الغنائم التى يغتنموها من جراء هذه الاعتداءات . فقد كانت الفترة الزمنية المستغرقة لوصول الرحلة من روسيا إلى ايران أو العكس هى عدة أشهر ، لكن الأوضاع

---

[٢٦] - ططرى : على ، كمپفر سفرنامهء نويسى متفاوت ، ماهنامه پيام بهارستان ، دى ١٣٨٣هـ.ش ، صـ ٤٣

[٢٧] - لمزيد من المعلومات ، الرجوع إلى :
ورنر : كريستف ، نامه ها و مكاتبات انگلبرت كمپفر ، ماهنامه كتاب ماه تاريخ و جغرافيا ، آذر ١٣٧٩هـ.ش ، صـ ٧٠-٧١
عالمى: مهوش ، باغهاى شاهى عهد صفوى و روابط آنها با شهر ، مجله معمارى و شهر سازى ، ١٣٧٧هـ.ش ، صـ٤٢ و ما بعدها

اختلفت فی النصف الثانی من القرن السادس عشر، فعقب استلاء روسیا علی کازان و آستراخان من الامبراطوریة العثمانیة بعد حروب طاحنة ، بالإضافة لتنازل ایران عن بعض مدنها الحدودیة - دربند و باکو - علی بحر الخزر لروسیا بهدف إبعاد الامبراطوریة العثمانیة عن هذا البحر ، بدأت العلاقات الدبلوماسیة الحمیمة بین البلدین و استمر تبادل السفراء فیما بینهما[٢٨].

فی ظل حکم الصفویین لایران ؛ تجنبت روسیا الصدام مع ایران حتی لا یتعرض أمن گرجستان للخطر ، و أیضاً حتی لا یضعف أی من البلدین لصالح عدوهما المشترك المتمثل فی الامبراطوریة العثمانیة . فضلا عن أن ایران کانت سوقاً جیدة للبضائع الروسیة ، و الصراع بین البلدین سیحول دون دخول البضائع الروسیة إلی الأسواق الایرانیة ، مما یُلحق الضرر بروسیا تجاریاً . لذا و من هذا المنطلق توجه فدتُ آفاناس کاتُف فی عام ١٦٢٣م ، بصفته تاجراً إلی ایران عن طریق آستراخان للإتجار فی البضائع القیصریة [٢٩].

کاتُف تاجر روسی کتب مشاهداته فی ایران خلال رحلته إلیها و التی استمرت من ١٦٢٣ : ١٦٢٤م ، شکّل کاتُف قافلة ضخمة بأموال باهظة و سلك الطریق التالی : هشترخان ، دربند ، شابران ، شماخی ، دشت مغان ، اردبیل ، خلخال ، زنجان ، سلطانیة ، اهر ، قزوین ، ساوه ، قم ، کاشان ، نطنز و انتهت رحلته عند اصفهان[٣٠] . و من خلال خط سیر القافلة ندرك أن التاجر الروسی دخل إلی ایران من شمالها . و تجدر الإشارة إلی أن الکتاب الذی ترجمه عن الروسیة "محمد صادق همایونفرد" ؛ یُعد أحد أشمل کتب الرحلات التی کتبت باللغة الروسیة و أکثرها جاذبیة ، و قد أصبح هذا الکتاب موضع اهتمام الباحثین فی مجالات الثقافة و الحضارة الایرانیة .

---

[٢٨] - اشراقی : فیروز ، اصفهان از دیدن سیاحان خارجی ، آتروپات ، اصفهان ، ١٣٧٨هـ.ش ، صـ ٤٧-٤٨

[٢٩] - مهر نوش محتشمی www.radiofarhng.ir

[٣٠] - همایونفرد : محمد صادق ، عبد العلی سیاوش ، سفرنامهء فدت آفاناس یویچ کاتف ، تهران ، کتابخانهء ملی ایران ، ١٣٥٦هـ.ش ، المقدمة

و مما سبق نستنتج أن :

- تنوع جنسيات الرحالة الذين قدموا إلى ايران فى العصر الصفوى ، و اختلاف نشاطهم بين التجارى و السياسى و غيره ، يعكس تعدد ثقافتهم و حضارتهم .
- اختلفت مناطق دخول الرحالة إلى ايران و تجوالهم بين مدنها و قراها و مناطق إقامة بدوها ، مما أتاح لهم مشاهدة مناطق شاسعة داخل ايران ، و قد مكّنهم ذلك من الاطلاع على الأوضاع الحضارية فى ايران الصفوية. و يُعطى تجميع ما كتبه كل منهم صورة كاملة عن الحضارة الايرانية فى العصر الصفوى .
- نُسبت كتب الرحلات فى تلك الحقبة الزمنية ؛ فى أغلبها ؛ إلى رؤساء القوافل و البعثات ، على الرغم من أن كاتبيها هم الكُتّاب المرافقين لهؤلاء الرؤساء ، و لأن لكل قاعدة استثناء ، نشير هنا على سبيل المثال لا الحصر إلى هذه الاستثناءات : سفرنامهء كمپفر و گزارش ژرژ تكتاندر فن دريابل[٣١] .
- تمثل هدف الرحالة الأجانب لزيارة ايران فى نقطتين أساسيتين هما : إقامة علاقات تجارية مع ايران لشراء الحرير الايرانى و الذى كان يحتكر تجارته شاه ايران ، و شحذ همم شاه ايران لخوض الحرب ضد الامبراطورية العثمانية .
- لأهمية ايران بالنسبة لأوربا فى تلك الحقبة ، تزامن وجود عدد من الرحالة و السفراء فى ايران فى نفس الوقت و نشير هنا إلى الانجليزى ربرت شارلى و السفير الإسبانى دن گارسيا و الإيطالى پيترو دلاواله ، و أيضاً سفير الامبراطورية العثمانية .

---

[٣١] - دريابل : ژرژ تكتاندر فن ، گزارش سفارتى به در بار پادشاه عباس اول ، ترجمهء محمود تفضلى ، تهران ، بنياد فرهنگ ايران ، ١٣٥١ هـ.ش

المبحث الثانى :

القصور :

يوضح السير آنتونى شرلى أنه قضى فى قزوين حوالى ستة أيام ، لقى خلالها الحفاوة و كرم الاستقبال من الأهالى فضلا عن حاكم المدينة و مندوب الشاه ، و بعدها دعاه مندوب الشاه للضيافة فى إحدى بنايات الشاه فى قزوين . و يصف آنتونى شرلى ما شاهده فى هذه البناية بداية من الباب ، فيقول : " عندما وصلنا للبناية ؛ شاهدنا وضعاً غاية فى الفخامة ، فالباب مزدان بالكامل و مرصّع بالأحجار الكريمة باهظة الثمن بحيث لا مثيل له فى العالم . ارتقينا سبع درجات لنصل لهذا الباب ، عرض كل واحدة من هذه الدرجات ست ياردات و هى من الحجر الصلد[٣٢] " .

بعد هذا الوصف من آنتونى شرلى لبوابة البناية ، سجّل لنا نقطة غاية فى الأهمية عن عادات و تقاليد و مراسم الايرانيين فى تلك الحقبة ، أتينا على ذكرها لما لها من انعكاس حضارى من قبل الرحالة بمختلف مشاربهم و قوميتهم ، تتمثل هذه النقطة فى التقاليد المتّبعة تجاه بوابات الأبنية الملكية سواء من الايرانيين أو من الأجانب ، و التى توضح مدى احترام و تقديس الايرانيين لشخص الشاه ، فهى تفرض على الايرانيين سواء المار أمام البوابة أو من يجتازها ؛ تقبيل العتبة ، و الأمر بالنسبة للأجانب متروك لخيارهم ، يقبلون بهذا التقليد أو يرفضوه . و قد أبدى آنتونى شرلى و مرافقيه الترحيب باتباع هذا التقليد بينما رفضه السفير الإسبانى دن گارسيا مما يعكس تكوين شخصية و كذا درجة أهمية كل منهما و السبب الذى من أجله حضر إلى ايران ، فالإسبانى كان يمثل ملك إسبانيا ، بينما الانجليزى لم يكن يمثل سوى شخصه .

ثم يشرع السير آنتونى شرلى فى وصف البناية من الداخل ، فيقول : " بعد ذلك دخلنا إلى المنزل و كانت كل غرفة مُبالغ فى فخامة زينتها ، فالجدران مغطاة بستائر من أقمشة موشّاة بالذهب ، و الأرض مفروشة بالبسط الجيدة الثمينة[٣٣]" . و على الرغم من الإشارات المختصرة فى وصف الأخوان شرلى لفخامة المبانى الملكية فى

---

[٣٢] - دهباشى : مرجع سابق ، صـ ٥٣

[٣٣] - المرجع السابق : صـ ٥٤

بدايات وصولهم لايران ؛ إلا أن هذا الوصف جاء بصورة أكثر اختصراً عقب إرسال كل منهما فى سفارة إلى أوربا كسفراء لشاه ايران ، فعقب عودة ربرت شرلى من أوربا ؛ يصف لنا قصر الشاه فى اصهان قائلا : " بعد دخولنا المدينة متجهين إلى قصر الشاه الكائن فى الميدان الكبير ، جثى السير ربرت شرلى و حاكم المدينة على ركبتيهما و قبّلا العتبة ثلاث مرات ... ثم توجهنا إلى القصر الذى كان من أفضل بنايات الشاه و الذى كان قد شيّد على النهر [٣٤] " .

هنا نطرح السؤال التالى : هل اقتصرت الحضارة المعمارية فى ايران الصفوية على الأبنية الشاهنشاهية فقط ؟ نجد الإجابة على هذا التساؤل فيما جاء فى " سفرنامهء دن گارسيا " السفير الإسبانى إلى بلاط شاه ايران آنذاك ، و الذى تزامن وجوده فى ايران مع وجود ربرت شرلى و پيترو دلاواله ، و يمكن أن نعزو ذلك إلى دخول السفير و قافلته من جنوب ايران حتى شمالها ، فضلا عن المهمة الدبلوماسية الموفد بموجبها دن گارسيا إلى ايران ، إلى جانب التركيبة الشخصية لهذا السفير الذى كان نديماً لملك إسبانيا و قيادته للجيش الإسبانى و أخيراً كونه رحالة طاف بالعديد من البلدان، لهذا نجد السفير الإسبانى يصف لنا طرز معمارية أخرى أمر ببنائها حكام المدن الايرانية .

أثناء تواجد دن گارسيا فى مدينة لار ، يقدم لنا وصفاً لقصر اللهورديخان[٣٥] و الذى أتم بناؤه ابنه امامقلى خان[٣٦] . يقول السفير الإسبانى : " كان اللهورديخان قد

---

[٣٤] - المرجع السابق : صـ ١٤٨

[٣٥] - اللهورديخان اونديلادز ، المشهور بـ " اللهورديخان گرجى " ، بانى جسر " سى و سه پل " اصفهان و مدرسة خان شيراز ،

والد كل من امامقلى خان و داود خان . كان من أسرى الگرجيين و انتقل إلى ايران فى عهد الشاه طهماسب ضمن الغلمان ، و بعد اعتناقه الدين الإسلامى ، أصبح قائداً للجيش ثم حاكماً لولاية فارس فى عهد الشاه عباس الأول ، بذل الكثير من الجهد لرقى الثقافة و الحضارة الايرانية . توفى عام ١٦١٣م و دفن فى مشهد بناءً على وصيته ، بجوار مرقد على الرضا فى الرواق و تحت القبة التى كان قد أمر ببنائهما .

للمزيد من المعلومات عن اللهورديخان ، الرجوع إلى :

سيورى : راجر ، تحقيقاتى در تاريخ ايران عصر صفوى ، (مجموعهء مقالات) ، ترجمه : عباسقلى غفارى فرد ، محمد باقر آرام ، تهران ، انتشارات امير كبير ، ١٣٨٢هـ.ش

برن : رهر ، نظام ايالات در دورهء صفويه ، ترجمهء كيكاووس جهانداری ، تهران ، نشر بنگاه ، ١٣٤٩هـ.ش

افراشته اى : محمود بن هدايت الله ، نقاوة الآثار فى ذكر الأخبار در تاريخ صفويه ، به اهتمام احسان اشراقى ، تهران ،

انتشارات علمى و فرهنگى ، چاپ دوم ، ١٣٧٣هـ.ش

تركمان : اسكندر بيك ، شهير بمنشى ، تاريخ عالم آراى عباسى ، تهران ، امير كبير ،چاپ سوم ، ١٣٨٢هـ.ش

شرع فى بناء قصر غاية فى الجمال و الأبهة ، لكنه لم يكمل البناء لنقضاء أجله، و من بعده نهض ابنه امامقلى خان لاستكمال البناء . لم يكن القصر ضخماً ، لكن طرازه المعمارى كان راقياً للغاية ، فالقصر يحتوى على مبنيين أحدهما للصيف و الأخر للشتاء . الطابق الأرضى لهذا البناء يحتوى على إيوانات[٣٧] تشرف على حديقة كبيرة عامرة بأشجار الفاكهة و الموالح ، بكل إيوان نافورة داخل حوض للمياه ، عند المدخل الأمامى مصطبة من الحجر الأبيض عليها وسادة يجلس عليها الحاكم للفصل فى النزاعات أو أثناء الاحتفالات العامة ، و على جانبىّ تلك المصطبة عدة درجات تمثّل مقر القضاء[٣٨] " .

عقب وصول دن گارسيا إلى شيراز ، و مروره بالميدان الكبير ، و المقصود به الميدان الذى يتوسط المدينة ، يقول السفير الإسبانى : " له مدخل عبارة عن دهليز جميل و إيوان مذهّب " [٣٩] . و يستمر السفير الإسبانى فى وصف بوابات المدينة و الطريق المؤدى لقصر الشاه و الذى كان من المقرر أن يقيم به السفير و مرافقيه . و عن هذا القصر يقول دن گارسيا : " بعد ثلاثين إلى أربعين ياردة وصلنا قصر الشاه و الذى يقع فى نهاية طريق واسع جميل ، و نظراً للممرات و الإيوانات بديعة المنظر

منجم يزدى : ملا جلال الدين محمد ، تاريخ عباسى يا روزنامهء ملا جلال ، به كوشش سيف الله وحيدنيا ، تهران ، انتشارات وحيد ، ١٣٦٦هـ.ش

[٣٦] - امامقلى خان ؛ ثان أفراد أسرة اللهورديخان فى تولى حكم ولاية فارس و كهگيلويه و امتد حكمه حتى سواحل بحر عمان ، كان من المقرّبين للشاه عباس الذى كان يصطحبه فى أسفاره و ترحاله و كان يعهد إليه باستضافة السفراء الأجانب فى منزله . من أهم إنجازات امامقلى خان العسكرية ؛ فتح هرمز و إنهاء سيطرة البرتغاليين على الخليج و التى استمرت لأكثر من مائة عام . بعد أن خلف والده على حكومة فارس ، سعى لتجميل مدينة شيراز ، و كان يرغب فى أن تصبح مثل اصفهان ، و قام بشق طريق ممهد فى مدخل شيراز يضاهى طريق چهار باغ اصفهان و زيّنه بأشجار السرو ، كما أنشاء ميداناً كبيراً فى شيراز أيضاً و الذى أصبح الآن أثراً بعد عين .

للمزيد من المعلومات عن امامقلى خان ، الرجوع إلى :

شاردن : ژان ، سياحتنامهء شاردن ، ترجمه : محمد عباسى با حواشى و تعليقات و توضيحات لغوى و تاريخى و فرهنگى

اصطلاحات و فهارس اعلام و تصاوير عتيق و باستانى ، تهران ، دائرة المعارف تمدن ايران ، ١٣٣٥هـ.ش

دلاواله : پيترو ، سفرنامهء پيترو دلاواله ، قسمت مربوط به ايران ، ترجمه و شرح و حواشى از شعاع الدين شفا ، تهران ، شركت انتشارات علمى و فرهنگى ، ١٣٠٦هـ.ش

تاورنيه : ژان باتيست ، ترجمهء ابو تراب نورى با تجديد نظر كلى و تصحيح دكتر حميد شيرانى ، تهران ، از انتشارات كتابخانه سنائى

[٣٧] - للوقوف على تعريف المصطلحات المعمارية ، الرجوع إلى : أمين : محمد محمد (دكتور) و ليلى على إبراهيم ، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية ، القاهرة ، دار النشر بالجامعة الأمريكية ، ١٩٩٠م

[٣٨] - سميعى : مرجع سابق ، صـ ٩٧

[٣٩] - المرجع السابق ، صـ ١٣١

خاصة لارتفاعها ، كان المنظر الجميل للقصر يدخل البهجة إلى الناظرين . يرتفع المدخل عن مستوى الطريق بدرجتين للحيلولة دون الدخول بالجياد ، و يلى باب القصر و وسط الفناء ، يُشاهد حوض للمياه مثمّن الشكل مملوء بالمياه ... و يُعد القصر و الحديقة الملحقة به من المبانى التى أمر الشاه اسماعيل الصفوى بإقامتها ، و على الرغم من أنه أقيم على مساحة محدودة من الأرض ؛ إلا أنه جميل و ذو جلال . شيّد القصر على هيئة برج من ثلاثة طوابق . و كما هو الحال فى المنازل الايرانية الأخرى ، كان للصعود للطوابق العليا ارتقاء سلم ضيق و ملتو . البناية ؛ و طبقاً لعادات الايرانيين و ما هو معمول به فى كل آسيا ؛ لا تحمل أى سمة من السمات الجمالية من الخارج . فى الطابق الثانى، توجد أجمل و أفضل الحجرات ، تتوسطها قاعة رائعة الجمال و هى أكثر اتساعاً من بعض قاعات القصر الملكى فى مدريد . فى وسط السقف المحدّب الذى يعلو القاعة ، قبة . هذه القبة لا تحمل أى نوع من التزين، باستثناء أنها مغطاة بالجص الأبيض و تحتوى على نوافذ زجاجية لتوفير الإضاءة .

تحتوى القاعة و الحجرات بالطابق الثانى ، و بشكل ملحوظ ، على تبلوهات لنساء يرتدين ملابس بطرز إيطالية ، شعورهن مجدولة و مُزيّنة بالورود ، بعضهن متوجات بتاج من الغار على النمط الأرمنى القديم ، و بعضهن متوجات بتيجان عادية ، هذه التبلوهات توضح أن من قام برسمها رسامون إيطاليون استقدمهم الفينسيون للشاه .

يُفتح على القاعة عدة أبواب لحجرات صغيرة و ردهات و كوّات للضوء ، بحيث إذا ارتفعت درجات الحرارة صيفاً ، تكون درجات الحرارة فى البناية لطيفة باردة . لكن فى فصل الشتاء يكون الهواء داخل القصر بارداً و غير مريح ... اثنتان من كوّات الضوء المنتشرة فى المكان أكبر و أوسع من الأخريات ، إحداهما تشرف على باب الدخول للبناية و تطل على الطريق ، بحيث يمكن من خلالها رؤية بوابة المدينة التى دخلنا منها ، هذه الكوّة تشرف على الجانب الجنوبى و الجنوبى الشرقى للمدينة لذا فهى مشمسة غالبية ساعات اليوم و هى أفضل مكان لتجنب الهواء فى فصل الشتاء و هى بمثابة مدفأة للحجرات خلال هذا الفصل . و ذلك لأن واجهة البناء بُنيت بشكل هلالى . و لوجود ردهتان صغيرتان على جانبى الكوّة ، تضئ أشعة الشمس

الردهتان و تدفئهما حيث تتركز أشعة الشمس فى نقطة مركزية دائرية على الجدار ، و بذلك تكون درجة حرارة الردهتين دائماً دافئة . الكوّة الثانية تواجه الباب و تشرف على الحديقة ، هذه الكوّة فى فصل الصيف تجلب الهواء البارد اللطيف نتيجة للرياح القادمة من الشمال و الشمال الشرقى تجاه الغرب و الشمال الغربى" [٤٠].

ما يميّز كتابات الرحالة الأجانب الحديث بحرية عن النساء و أماكن إقاماتهن و ما يرتدين من ملابس ، هذه الحرية لم تكن متاحة للمؤرخ الايرانى بالطبع لعدة أسباب ، و من أهمها أن المؤرخ الايرانى كان يؤرخ للشاه و يتقاضى مقابل ما يكتب ، كما أن التقاليد فى المجتمع الايرانى كانت تشكل عائقاً أمام المؤرخ الايرانى فى هذا الأمر ، و النقطة الأهم و التى كانت تقف حائلا بين المؤرخ الايرانى و الحديث عن النساء فى البلاط الشاهنشاهى ؛ هى المذهبية الاثنى عشرية ، فنساء البلاط هن نساء المرشد ، و لانتفاء كل ماسبق عن السفير الإسبانى ، نجده لم يقف عند وصف البنايات الملكية فحسب ، بل تعداها لوصف قصور النساء الملحقة بطبيعة الحال بالقصور الملكية ، و بخصوص قصر الحريم يقول دن گارسيا : " فى نهاية الطريق الرئيس يقع قصر الحريم ، بُنى القصر بطراز يتناسب مع الحديقة ، من حيث الحجم ليس كبيراً و غير مرتفع ، كذلك حجراته صغيرة جداً ، به عدد من الكوّات و الردهات و النوافذ المغطاة بستائر خشبية رمادية اللون ، هذا البناء مخصص لسكنى النساء ، فمن عادة الايرانيين السعى الداؤب لإبعاد النساء عن الأجزاء العامة فى المنزل . بُنى القصر على قاعدة مربعة الشكل ضخمة ترتفع عن مستوى الحديقة بسبع دراجات . يبلغ عرض القاعدة التى بُنى عليها القصر حوالى أربعون قدماً من كل جانب . فى فناء القصر عشرة أحواض مياه كل واحد منها مثمّن الشكل و بعمق نصف زراع ، ترتبط هذه الأحواض بجداول مياه صغيرة بعرض نصف قدم و بعمق نصف قدم أيضاً ينتقل من خلالها الماء بين الأحواض العشرة فى منظر بديع يأسر القلوب . القصر غير مغطى بالقيشانى بل مغطى بالطين المخلوط بالتبن ، هذا الطين المخلوط بالتبن يحول دون تسرب الماء و الرطوبة إلى الآجر أو السقف الخشبى للقصر بل يتسرب الماء من مخرّات نُصبت على الجوانب حتى يظل السقف جافاً . و على السقف ؛ كما هو الحال فى كل الأسقف الطينية ؛ يوجد عمود من المرمر بطول ثلاث أو أربع أقدام ، و من الممكن أن يكون أكبر من ذلك أو أصغر ، هذا العمود الصغير

---

[٤٠] - المرجع السابق : صـ ١٣٢ : ١٣٥

لتنقية و خلط الطين الجديد بالتبن و الذى يضاف بصورة دورية إلى الخليط القديم . و على هذا النحو يظل السقف مكاناً جميلا و مشرفاً بالكامل على الحديقة و الذى يستخدم فى أيام الصيف الحارة ليلا ، عندما تبرد درجات الحرارة كمتنزه للنساء ... التبن المخلوط بالطين و المستخدم فى طلاء الأسطح به بذور الشعير و بذور أخرى ، و مع تساقط أولى زخّات المطر ، يبتل الطين و تنمو البذور ، و هكذا خلال فترة زمنية وجيزة تُغطى الأعشاب السطح المغطى بالطين " [٤١] .

استمر وصف دن گارسيا للقصور الشاهنشاهية التى مر عليها خلال تجواله فى ايران من هرمز حتى اصفهان و صولا إلى قزوين حيث التقى الشاه عباس الكبير . و من هناك يصف لنا السفير الإسبانى أبدع ما تفتقت عنه الحضارة الايرانية فى العصر الصفوى ، و التى تتخذ من البيئة المحيطة مجالا رحباً لإعمال الذهن و التفكير بعمق و التأمل . فقد كان السفير الإسبانى فى قصر الشاه عباس الكبير تمهيداً للقائه ، اصطحب السفير كل من " آقامير " صاحب الديوان و " يوسف آقاى" الخواجه باشى و ساروا فى ممشى صغير فى الحديقة الكبيرة على جانبيه أشجار السرو و الچنار تطاول عنان السماء ، فى نهاية الممشى " كان هناك حوض للمياه كبير غاية فى الجمال ، تبلغ مساحته مائة و خمسون قدماً مربعاً ، فى الحوض ديوان بديع الصنع مفتوح من كل جوانبه ، لا يوجد به سوى غرفة واحدة تقف على أربعة أعمدة خشبية كبيرة و لها قبة ، و الطريق المؤدى لهذا الديوان عبارة عن قنطرة لها حواجز جانبية . أوقف رفيقىّ السفير مرافقيهم على بعد حوالى ستون قدماً من الديوان . أحد المترجمين أخبر السفير أن الشاه فى هذا الديوان ، و كان الشاه يقف على بعد أربعون قدماً " [٤٢] .

عقب لقاء السفير بالشاه عباس الكبير و اتباع المراسم المتعارف عليها و البروتوكولات المتبعة لتقديم رسالة ملك إسبانيا إلى شاه ايران ، توجّه السفير مع الشاه إلى مكتب الأخير ، و الطريق إلى المكتب يصفه دن گارسيا على هذا النحو : " للولوج من القنطرة إلى الردهة المؤدية إلى المكتب يوجد درجتان أو ثلاث درجات أعلى من مستوى الحديقة " [٤٣] .

---

[٤١] - المرجع السابق : صـ ١٣٧ - ١٣٨
[٤٢] - المرجع السابق : صـ ٢٦٤ - ٢٦٥
[٤٣] - المرجع السابق : صـ ٢٦٥

هكذا نلحظ أن السفير الإسبانى قد قطع مسافة كبيرة داخل ايران من هرمز إلى قزوين ، و تمكن من دخول العديد من القصور الشاهنشاهية فقام بوصفها على وجه الدقة نظراً لمهمته الدبلوماسية ، كما عقد المقارنة بين ما شاهده داخل القصور بصفة خاصة و داخل ايران بصفة عامة مع الحضارة الأوربية فى بلاده . لكن الوضع يختلف عند التاجر ، و الذى يمكن أن لا تتاح له فرصة الدخول إلى القصور الملكية ، كما أن الغرض من دخوله ايران يختلف نسبياً عن مهمة الدبلوماسى . فنجد فدتُ كاتُف يصف الوضع فى اصفهان بصورة مجملة تخلو من الدقة فى الوصف . فيقول عن القصور الشاهنشاهية بصفة عامة عقب وصوله إلى اصفهان : " لقد بُنيت القصور الملكية بحيث تفتح أبوابها على الميدان الرئيس و قد كتبوا على الأبواب الكبيرة أسماء الحجرات بالذهب . كل ثلاث حجرات فى جانب ، و يمكن لأى سفير أو تاجر أن يدخل إلى هذه الحجرات . القصر مقر إقامة الشاه بعيد عن هذه الأبواب و يقع فى وسط الحديقة ... فى الميدان مقابل الأبواب الشاهنشاهية يوجد مدافع مختلفة الأحجام من الحديد و النحاس مصفوفة بصورة منظمة " [٤٤] .

انگلبرت كمپفر ، كاتب و طبيب بعثة ملك السويد إلى شاه ايران ، جاء حديثه عن القصور الشاهنشاهية و الحدائق فى اصفهان مجملاً ، و لم يغفل الحديث عن قصور الحريم ، فيقول : " يمكن تقسيم الأبنية فى كل ايران ؛ و ليس القصور الملكية فقط ؛ إلى قسمين ، الأول لإمتاع النظر و الثانى لاتقاء الحسد . و فيما له صلة بالقسم الأول ، نجد أن الايرانيين يقيمون منازلهم وسط حديقة كبيرة قدر المستطاع ، بها حوض للمياه و مظلة و خلافه . و فيما يتعلق بالقسم الثانى ، يُشيّد جدار يُقسّم الحديقة إلى قسمين ، الأول يسمى الإيوان ، و هو مخصص لاستقبال الضيوف و الغرباء ، و الثانى مخصص للحريم و هو معزول عن العالم الخارجى و لا يجسر الأوفياء و الأصدقاء على اجتيازه ، فهو مخصص لنساء و إيماء و خصيان صاحب المنزل متعدد الزوجات . و لا يدخله غير صاحب المنزل و خصيانه . و يراعى هذا التقسيم أيضاً فى حدائق الشاه عباس . القصور المختلفة ؛ و أغلبها صغير ؛ تحتوى على حجرات و أماكن لتناول الطعام و أيضاً صالونات ذات أعمدة يطلقون عليها قاعات لإقامة الاحتفالات و المراسم العامة ، و جميعها يقع فى القسم الخارجى من البناء .

---

[٤٤] - همايونفرد : مرجع سابق ، صـ ١١٢
اشراقى : مصدر سابق ، صـ ٥١

القاعة فى الأغلب تكون على هيئة صحن يطل من ثلاث جهات على الحديقة حتى يتمتع ضيوف الشاه بمنظر الحديقة المبهج دون مانع أو عائق .

أما قصر الحريم ، فبالإضافة إلى ما جئنا عليه ، فهو بناء يحتوى على الكثير من الأماكن الخفية و المتشابهه ، نظراً لنوعية سكّانه . قصر حريم الشاه يقع فى وسط حديقة غنّاء محاطة بجدار بارتفاع ثلاثة عشرة ذراعاً و غير مسموح باجتياز بوابته إلا للشاه بصحبة حرّاسه " [٤٥] .

بعد أن ذكر كمپفر طرز البناء فى ايران سواء منازل الرعيّة أو القصور الملكية بصورة مجملة ، عرج للحديث تفصيلا عن قصر على قاپو ، فيقول : " يتكون غالبية قصر الشاه المعروف بـ (عالى قاپو) من قاعة و التى تجاور حديقة الورود مباشرة ، يحتل القصر مكانة رفيعة فى ميدان الشاه . للقصر عتبة من المرمر لها دور مهم فى إجلال و احترام الشاه ، فالمارة من الميدان أمام هذه العتبة ، حتى لو لم يكونوا من خدم الشاه ، يجثون على الأرض و يقبّلون هذه العتبة من باب الاحترام و الأدب . و لهذا السبب يحرص الداخلين من هذه البوابة مروراً بتلك العتبة على خلع نعالهم حتى لا تدنس هذه العتبة ، و من يسهو عن هذا الأمر ، يُعنّف بالقرع من جانب الحرس .

يلى البوابة طريق بطول مائتى قدم مغطى بالحصى الصغير و على جانبيه جدار من الآجر النّى ، يحتوى الجدار على إيوانات ، بكل إيوان أريكة لجلوس الزوّار . الجدار الأيمن يشرف عل الروضة الملكية و الأيسر يطل على حديقة مترامية الأطراف ، و فى نهاية هذا الطريق بوابة تؤدى إلى حدائق الشاه و التى تحتوى على ردهات ، أرضيتها مغطاة بالعشب و الورود ، على جانبيها منازل صغيرة ، تؤدى هذه الردهات إلى قصر الحريم . و الأشهر من حدائق الشاه هذه ، حديقة (چهل ستون) و حديقة (خلوت) و بستان العنب .

أما قصر عالى قاپو فيقبع على مدخله مدفعان قديمان على قاعدتين ، أحدهما Ballestriari و يبلغ طول قذيفته ثمانية أقدام و نصف القدم ، و إلى يساره يوجد

---

[٤٥] - جهانداری : کیکاووس ، سفرنامهءکمپفر ، تهران ، شرکت سهامی خوارزمی ، چاپ سوم، ١٣٦٣هـ.ش ، صـ ١٩٩ ــ ٢٠٠ اشراقی : مصدر سابق ، صـ ٢٢٠ و ما بعدها

ثلاث و عشرون قذيفة أصغر لمدافع مختلفة ، هذه المدافع كانت فى السابق جزءاً من الأسلحة المستخدمة فى موقعة فتح هرمز عام ١٦٢٢م ، استولوا عليها من البرتغاليين و جزء أخر استولوا عليه فى موقعة تسخير بغداد عام ١٦٢٣م من العثمانيين . و قد صفّوا هذه القذائف إلى جوار بعضها البعض حتى مدخل قصر الحريم ... نوافذ القصر المقامة على أعمدة مربعة من الآجر النّى مغطاة بمشربيات خشبية رائعة الجمال . فى الطابق الأرضى رواق يستخدم كطريق عمومى إلى روضة الورود . تُعقد فى قاعات الطابق الأرضى مجالس الأعيان و كبار رجال الدولة لبحث شئون المملكة كذا تُعقد بها جلسات الفصل فى القضايا الخاصة بالنزاعات التى تنشب بين أفراد الشعب بمختلف طبقاته . قسم من حجرات الطابق الأوسط مخصص لحفظ الحاجيات و الأشياء موضع احتياج البلاط ، و القسم الأخر لسكنى حرس البلاط و العاملين به .

جزء من الطابق العلوى ، و الذى يشرف على الميدان الكبير ، يستخدم للنوم فى فصل الربيع ، حيث تبلغ مساحة هذا الجزء عرض القصر بالكامل . يقيم الشاه الاحتفالات العامة و مراسم الضيافة فى القاعة ذات الأعمدة و التى من أهمها الاحتفال ببدء العام الجديد و أيضاً يُعقد فى هذا المكان اجتماعات الشاه مع أصحاب المناصب فى المملكة للتشاور بشأن أمور الدولة ، و كان الشاه يشاهد الميدان منه أيضاً ؛ و لأنه كان مفتوحاً من أضلاعه الثلاثة ؛ أقيم سياجاً خشبياً بارتفاع ثلاثة أقدام يمنع سقوط الجلوس فى هذه القاعة . و يُوفّر الظل للجالسين ستائر حريرية موشاة بالورود .

السقف المسطّح المقوّس من جوانبه يقف على ثمانية عشرة عموداً تصطف فى ثلاثة صفوف و مطلية باللون الأزرق السماوى و اللون الذهبى . و بالرغم من عدم كلاسيكية طرز صناعة هذه الأعمدة ، إلا أننى اعتبرها ملفتة للنظر بصورة غير طبيعية . فى وسط المنطقة المستخدمة للنوم فى فصل الربيع حوض للمياه مربع الشكل من المرمر به نافورة . يملاء هذا الحوض الفراغ بين الأعمدة[٤٦] ... الحجرات

[٤٦] - يوضح هذا الوصف أن الأعمدة كانت على هيئة مربع ينقص ضلعاً . الباحث

فى الجزء الخلفى فى الطابق العلوى و المقامة على صفين مقصورة على الشاه و الخصيان حيث تشرف هذه الحجرات على قصر الحريم " [٤٧] .

بعد أن قدّم لنا الرحالة الألمانى ، الذى كان ضمن بعثة ملك السويد إلى ايران ، هذا الوصف بالغ الدقة لقصر عالى قاپو، ينتقل للحديث عن قصر أخر عنّونه بقصر الاستقبال ، فيقول : " قاعة كبيرة و التى يمكن مقارنتها بساحة عرض ، يبلغ طول القاعة ستون قدماً و عرضها أربعون قدماً بصورة تقريبية ، و يمكن القول إن جميع جوانب القاعة مغطاة بالذهب باستثناء مكان مغطى بالقيشانى . تحتوى القاعة على آرائك للاستراحة لها تكايات بعضها من الخشب بارتفاع قدمين توفر قسطاً أكبر من الراحة لمستخدميها . يظلل القاعة سقف مسطح يعكس أقصى درجات فن الصناعة لدى النقاشيين الذين قاموا برسم رسوماته ، يقف السقف على اثنتين و عشرين عموداً خشبياً مصطفة فى ستة صفوف نُقشت عليها ورود ذهبية .هذه القاعة ؛ المقامة على شاطئ نهر ، و المخصصة للاستقبال ؛ مقسّمة إلى ثلاث طبقات على هيئة درجات ، العليا منها محاطة بسياج حجرى و هى مخصصة للشاه ، و الوسطى لكبار رجال الدولة من الولاة و الأمراء ، والدرجة السفلى مخصصة للسفراء الأجانب و سائر الضيوف . يوجد على الدرجة السفلى حوض للمياه وسط أربعة أعمدة، و ليس معروفاً من أين تأتى مياهه و لا إلى أين تذهب " [٤٨]

و مما سبق نستنتج أن :

- امتزجت الحضارة الايرانية فى العصر الصفوى بالحضارة الأوربية و يتضح ذلك من تزيين القصور الشاهنشاهية بتابلوهات قام برسمها رسامون أجانب .
- عقد الرحالة الأجانب المقارنة بين الحضارة الايرانية فى العصر الصفوى و الحضارة الأوربية فى بلدانهم و البلدان التى قاموا بزيارتها آنفاً .
- انعكس الهدف من التوجّه إلى الدولة الصفوية بوضوح فى سلوك كل من الأخوين شرلى و دن گارسيا فى اتباع التقاليد الايرانية . ففى حين انصاع

---

[٤٧] - جهاندارى : مرجع سابق ، صـ ٢٠٢ - ٢٠٣
[٤٨] - المرجع السابق : صـ ٢٤٨ ــ ٢٤٩

الانجليز لتطبيق هذه التقاليد ، و المتمثلة فى تقبيل عتبة القصر الشاهنشاهى، رفض السفير الإسبانى القيام بذلك ، باعتباره سفيراً لملك إسبانيا .

- تطور طرز البناء منذ عهد الشاه إسماعيل و حتى عصر الشاه عباس الكبير ، و لم يقتصر هذا التطور المعمارى على العاصمة فحسب ، بل تخطاها لمدن ايران الأخرى ، و يتمثل ذلك ، على سبيل المثال لا الحصر، فى قصر الحريم . ففى زمن الشاه إسماعيل كان لقصر الحريم سقفاً من الخشب المغطى بالطين المخلوط بالتبن و الذى يتم تدعيمه بصورة دورية . فى حين اتخذ قصر الحريم فى عصر الشاه عباس الكبير شكلا معمارياً مدنياً بحتاً .
- حظى الرحالة الأجانب بالحرية المطلقة فى الحديث عن أماكن إقامة النساء و من يدخلها ، بل تعدوا ذلك الأمر إلى الحديث عن النساء بصفة عامة فى ايران و ما يرتدينه على اختلاف قومياتهن .
- من خلال وصف الرحالة الأجانب للقصور الشاهنشاهية برز أمران على درجة عالية من الأهمية كانا موضع اهتمام و رعاية المعمارى المنفّذ لبناء القصر ، ألا و هما : الإضاءة و درجة الحرارة . فنجد الكوّات فى الأسقف و أسفل القباب لتوفير الأضاءة ، كذالك كانت النوافذ و أيضاً الكوّات لمعادلة درجات الحرارة داخل أروقة و حجرات القصر صيفاً و شتاءً .

المبحث الثالث :

الرباطات :

يُعرّف الشيخ الرازى المعنى اللغوى للرباط : " (ربطه) شدّه ... و الموضع (مربط) بكسر الباء و فتحها ... و (الرباط) أيضاً واحد (الرباطات) المبنية و (رباط) الخيل مرابطتها " [٤٩] . تعددت معانى الكلمة فى المعنى الاصطلاحى إن كانت اسماً أو فعلا [٥٠]و التى من بينها ، أنه المبنى على الطريق بين المدن قديماً لإقامة القوافل أثناء ترحالها من مدينة إلى أخرى ، و كذا إقامة المسافرين جماعات أو فردى ، أيضاً قديماً كان الرباط مقراً لإقامة رسل الحكام يحصلون خلالها على قسط من الراحة و يستبدلون خيولهم أيضاً . و حول هذا المعنى يذكر دن گارسيا عن مدينة لار : " لار قاعدة تجارية و مقر كل القوافل التى ترد من فارس و كرمان و كافة الأماكن إلى هرمز أو التى تتوجه من هرمز و المناطق العربية إلى تلك الولايات . لهذا السبب يتجمع فى تلك المدينة مجموعات كثيرة من التجار الايرانيين و العرب و الكفار و اليهود ، و لجذب الأجانب و تجارتهم ، يوجد العديد من الرباطات الكبيرة " [٥١].

فى الطريق من شيراز إلى اصفهان ، فى اليوم السادس عشر من شهر إبريل ، بعد طى سبعة فراسخ ، وصلت قافلة السفير الإسبانى إلى قرية غير مأهولة تسمى (بردنش) ، و بعد أربعة فراسخ أخرى و صلت القافلة إلى رباط يصفه دن گارسيا على هذا النحو : " وصلنا إلى رباط كبير للغاية ، بناءه محكم فقد بُنى حديثاً من الحجر ، أقيمت على زواياه الأربع أبراجاً ضخمة ، ظننا لدى رؤيتنا لهذا الرباط أنه الأكبر و الأكثر راحة من الرباطات التى شاهدناها و التى سنشاهدها ، إقيم هذا الرباط على نفقة اللهورديخان " [٥٢].

يصف السفير الإسبانى أحد الرباطات على حدود ولاية فارس ، فيقول : " فى اليوم السابع عشر من شهر نوفمبر ، تحركنا فى التاسعة صباحاً من خرّم ، و وصلنا

---

[٤٩] - الرازى : الشيخ الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، عنى بترتيبه : محمود خاطر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٤م

[٥٠] - للمزيد من الاطلاع الرجوع إلى معجم المعانى الجامع www.almaany.com

[٥١] - جهانداری : مرجع سابق ، صـ ٨٧

[٥٢] - المرجع السابق : صـ ١٩٩

إلى مكان ، على الرغم من كوّنه من حدود فارس لكنه كان مثل لار ، جبلى و دون زرع ... هذا الرباط كان مختلفاً عن نظيره الذى شاهدناه فى لار . فقد كان مربع الشكل و يحيط به حائط محكم البناء مرتفع ، و ليس له سوى باباً واحداً يمكن اجتيازه ممتطياً الجواد . يلى الباب فناء كبير يكفى لإقامة عدد كبير من المسافرين بدوابهم و أحمالهم . و فى وسط الفناء مصطبة كبيرة مربعة الشكل مساحتها حوالى عشرون قدماً مربعاً و بارتفاع قدمين عن مستوى سطح الأرض ، و التى يمكن أن يجلس عليها عدة أفراد بصورة مريحة . على أطراف المصطبة إقيمت معالف الدواب بمختلف أنواعها . أيضاً بالفناء و على امتداد الحائط من الداخل يوجد عدة حجرات ترتفع عن مستوى سطح الأرض بمقدار قدمين يشكل باب كل حجرة عرضها . بحيث عند الوقوف عند منتصف الباب ، يمكن رؤية الحجرة بالكامل من الداخل باستثناء سقف الإيوان . لكل حجرة حجرة داخلية أصغر لها باب صغير و ضيق لا يسمح بمرور سوى شخصاً واحداً فقط ، بالحجرة الداخلية الصغيرة سريران فقط و لا شئ أخر ، هذه الحجيرات مخصصة للنساء و وضعها على هذا النحو لا يسمح للأخرين برؤيتهن . بالإضافة لذلك ، يوجد عند مدخل الفناء عدد من الحجرات لبيع الخبز ، الفاكهة ، النُقل ، بيض الدجاج ، الجبن ، اللحم ، الأعلاف و الشعير " [٥٣].

بعد ذلك بثلاثة أيام ، و فى الطريق إلى شيراز ، عقب الخروج من قرية (كفرا) ، يصف لنا السفير الإسبانى طرازاً أخر من الطرز المعمارية التى بُنيت على أساسها الرباطات ، فيقول : " قبل حلول الظلام بقليل ، وصلت القافلة إلى رباط يُعد الأضخم من أى رباط شاهدناه سابقاً . هذا الرباط ليس فقط له فناء أوسع و عدد حجرات و قاعات أكثر ، بل حوائطه الحجرية يبلغ ارتفاعها ضعف حوائط الرباطات الأخرى ، على جانبىّ باب الدخول يرتفع برجان كبيران بالإضافة إلى أربعة أبراج أخرى فى زوايا البناء الأربع . و الحقيقة يعتبر الرباط بمثابة قلعة حصينة بُنيت على هذا النحو لتوفير الأمن و الطمأنينة للقوافل و الحفاظ على بضائع تجارها من شر اللصوص الذين سلبوا الأمن سابقاً من هذه الصحراء . بالقرب من باب الرباط ، داخل رواق ، تصطف محال طهى الطعام . أيضاً هناك عين مياه كبيرة تشكل مياهها بحيرة فى الوادى ينمو على أطرافها البوص و أعشاب أخرى ، و على جوانب البحيرة أعشاش

---

[٥٣] - المرجع السابق : صـ ١٧٧

الطيور المائية – البط و الأوز – و طيور أخرى مثل (سار) { طائر برونزى اللون أصغر من القمرى } و العصافير " [٥٤].

عقب اللقاء مع الشاه عباس الكبير و تقديم رسالة ملك إسبانيا و حضور عدة دعوات لتناول الطعام مع شاه ايران و سفراء دول أخرى تواجدوا فى ايران أثناء وجود السفير الإسبانى ، حصل دن گارسيا على الإذن من شاه ايران لمغادرة مملكته و العودة إلى إسبانيا ، بعد الخروج من قزوين ، وفى طريق العودة إلى اصفهان ، يصف السفير الإسبانى رباطاً أقامته والدة الشاه عباس على نفقتها و يمثل طرازاً أخر من الطرز المعمارية التى أقيمت على أساسها الرباطات فى ايران الصفوية : " اليوم التاسع و العشرين من شهر يونيه ، وصل السفير إلى رباط كبير و الذى لم نتوقف به عند مقدمنا . هذا الرباط بلا شك هو أكبر الرباطات التى رأيناها خلال سفرنا و الذى بُنى على نفقة والدة الشاه عباس المولودة فى مازندران. كان البناء من الضخامة بحيث يستوعب جميع المسافرين على طريق اصفهان الباحثين عن رباط للنزول به ، بل يمكن القول إن سعة هذا الرباط تقارب الألف فرد بدوابهم " [٥٥].

و يوضح دن گارسيا أن ما يعيب هذا الرباط فقط هو مياهه غير الصالحة للشرب ، لكنها تستخدم للدواب . أما قافلته فقد كانت تشرب الماء الذى أحضروه معهم فى آوانى معلقة بالجمال الموجودة فى القافلة ، وهكذا أيضاً كان يفعل الجميع فى كل آسيا ، يحملون معهم احتياطى من الماء الصالح للاستخدام الآدمى ، و خاصة العرب فى الصحراء القاحلة التى لا يوجد بها ماء و لاعلف للدواب .

و يضيف السفير الإسبانى : " فى مدخل الرباط فناء كبير تزيد مساحته على مائة قدم مربع ، يحيط به حجرات ترتفع عن مستوى الفناء بمقدار قدمين ، بكل واحدة منها حجيرة يمكن ستر النساء بها عن الأنظار و ينمن بها فى فصل الشتاء ، يعلو المدخل بنايتان تحتوى كل واحدة على أربع حجرات متوسطة السعة ذات نوافذ على جوانبها تسمح بمرور الهواء فى فصل الصيف . بالإضافة إلى حجرات أصغر حجماً بها مدافئ بالجدران . سقف البناء شيّد على هيئة قبة مسطّحة من الخشب بحيث يمكن ، عقب غياب شمس النهار ، التنزه على هذا السطح . أيضاً إذا لم يرغب أى من

---

[٥٤] - المرجع السابق : صـ ١٢١ - ١٢٢

[٥٥] - المرجع السابق : صـ ٢٧٤

النـزلاء فـى النـوم فـى الجـزء السـفلى مـن البنـاء ، يمكنـه النـوم علـى هـذا السـطح و الاسـتمتاع بـالهواء العليـل و الهـدوء . وسـط فنـاء الربـاط يوجـد مصـطبة كبيـرة مربعـة الشـكل مـن الحجـر و الآجـر بارتفـاع قـدمين إلـى ثلاثـة أقـدام عـن سـطح الأرض ، يضـع عليهـا المسـافرون أمتعـتهم، وبعضـهم ينـام عليهـا و بعـض الدواب تقيّد أمام الحجرات " [٥٦].

الحديث عن الرباطات يختلف عند الأخوين شرلى ، فلم يأت كاتب يوميات رحلتهم فى ايران بالكثير حول الرباطات . و لا نجد لها ذكراً إلا فى موضع واحد . و لعل السبب فى ذلك يرجع إلى مكان دخولهم ايران و سرعة لقاءهم شاه ايران . و على الرغم من ذلك يوضح الكاتب نقطة مهمة و هى استخدام المفردة الفارسية (خان) للدلالة على المفردة (كاروانسرا) فيقول : " فى تلك الليلة ، تناولنا العشاء مع الشاه فى المنزل الذى أقيم للمسافرين . ففى هذه المملكة ، نظراً لقلة المساكن ، شيّدوا منازل كبيرة على مسافات متفاوتة يسمونها (خان) يقيم بها التجار و المسافرين ، وهى للأفراد المسافرين و لأموالهم و طعامهم و علف دوابهم " [٥٧]

أما ما جاء على ذكره التاجر الروسى كاتُف عن الرباطات ، فسنذكره من خلال الحديث عن الأسواق ، فالتاجر يفضّل الإقامة فى الرباطات داخل الأسواق أو التى أقيمت بالقرب منها ، و لأن كاتُف كان تاجراً ، فقد جاء وصفه للرباط أثناء حديثه عن الأسواق ، و أيضاً لم يهتم بالوصف الدقيق للطرز المعمارية للرباطات داخل الأسواق ، بل مر عليها مرور الكرام و بصورة مجملة .

و مما سبق نستنتج أن :

- تنوع الطرز المعمارية الخاصة ببناء الرباطات .
- تجلّت الهندسة المعمارية لدى المعمارى الايرانى فى توظيف الكوّات و النوافذ لتوفير الإضاءة و ترطيب المكان بالسماح للهواء العليل بالمرور من خلالها صيفاً و للتدفئة شتاءً .
- انتشار الرباطات على الطرق بين المدن و خاصة التجارية منها لاستضافة التجار و المسافرين .
- بمرور الزمن أصبحت الرباطات قلعة محصّنة لحماية التجار و تجارتهم و أموالهم .
- لم يقتصر دور الرباطات على استضافة التجار فقط ، بل كانت تستقبل كل المسافرين على الطرق بين المدن الايرانية .

---

[٥٦] - المرجع السابق : صـ ٢٧٤ - ٢٧٥

[٥٧] - دهباشى : مرجع سابق ، صـ ٦٨

- استخدام المفردة الفارسية (خان) للدلالة على المفردة اللغوية (كاروانسرا)

المبحث الرابع :

الأسواق و المقاهى :

من الطبيعى أن تحتوى كل مدينة من مدن ايران ؛ بل كل قرية و أى تجمع سكانى ؛ على ميدان و سوق تجارية و أماكن للترفيه تعرف بالمقاهى . و كما أسلفنا ، كان كل من الرحالة الأجانب دقيق الوصف فيما تخصص فيه ، لذا نجد الرحالة العاملين بالتجارة و كذا السفراء يجيدون وصف الأسواق و ما تضمنته من مقاهى . نقطة أخرى تجدر الإشارة إليها ، و هى أن الأسواق لم تكن مكاناً للتجارة فحسب ، بل أيضاً كانت مكاناً للإقامة من خلال رباطات شيّدت خصيصاً فى الأسواق و بالقرب منها لسُكنى التجار حتى يكونون على مقربة من تجارتهم و الأسواق ، أيضاً شكّلت المقاهى ، فضلا عن كونها مكاناً للترفيه و قضاء الوقت ، مكاناً للقاء و عقد الصفقات التجارية . و سوف نتناول بالعرض ما ذكره فدتُ آفاناس يويچ كاتُف عن الأسواق و الرباطات و المقاهى ، لكونه تاجراً و من الرحالة الروس الذين زاروا ايران فى العصر الصفوى .

بعد أن حصل التاجر الروسى على موافقة القيصر على أن يتاجر ببضائع روسية و بأموال القيصر ، و حمل رسالة لشاه ايران ، جهّز كاتُف قافلته ، و قطع الطريق بحراً و براً إلى بلد المقصد و هى ايران الصفوية . و لدى وصوله إلى نطنز ، يصف حال السوق هناك قائلا :" حال السوق سئ و الرباط جارى ترميم حوائطه بالحجر "[٥٨]

وجد كاتُف ضالته فى الوصف فى اصفهان ، فيصف السوق فيها قائلا : " أقيمت محال أسواق اصفهان بمخازن علوية و إيوانات حجرية ، و قد طليت من الداخل و الخارج بألوان مختلفة و ذهبية . فى الطريق و على الجانبين رباطات صغيرة بأبواب ضخمة بها زناجير حديدية يقوم الأهالى بتقييد دوابهم بها . فى هذا الرباط بالإضافة

---

[٥٨] - اشراقى : مصدر سابق ، صـ ٥٠

إلى المخازن العلوية و أكشاك التجارة ، يوجد أيضاً مائتى حجرة روسية ، و على امتداد الرباط توجد سوق النحاسين و إلى جوارها مصابغ الأقمشة . خارج الرباط جهة اليمين بالقرب من أبواب القصر الشاهنشاهى توجد سوق أخرى ، و التى يباع فيها و يشترى منها أصناف مختلفة من البضائع . بجوار بوابات القصر يبعون النعال و يصنعون السيوف و الخيام . السوق و أروقتها و مخازنها العلوية كلها من الحجر . هناك طريق بين هذه الأسواق يؤدى إلى أسواق أخرى . فى الجانب الأخر من الميدان و فى مقابل الرباط ، توجد سوق أخرى مسقوفة بأسقف حجرية . يُصنّع بها الصناديق و الغرابيل و كافة المنتجات الخشبية . فى هذا المكان أيضاً تباع الكتب و أداوات الكتابة " [٥٩].

لم يقتصر حديث التاجر الروسى على الأسواق الكبرى ، بل تعداها إلى وصف السويقات و المقاهى . و ليس من الغريب حديث التاجر عن المقاهى ، فهى أماكن الترفيه و قضاء أوقات الفراغ ؛ خاصة بعد غلق الأسواق أبوابها ليلا ؛ و أيضاً عقد اللقاءات و إتمام الصفقات التجارية ، و فى هذا الخصوص ننقل عنه : " إلى يسار الرباط الصغير و فى مقابل أبواب قصر الشاه ، فى الجانب الأخر من الميدان ، توجد سوق و التى يجرى فيها كافة العمليات التجرية بيعاً و شراءً ... تحتوى السوق على مائتى دكان . على مقربة من الميدان و على الجانبين يوجد إيوانات حجرية صغيرة يطلقون عليها مقاهى مطلية باللون الذهبى ، يحدد جانبىّ كل مقهى مشربيات خشبية ... أسقف المقاهى مطلية و فى كل ركن من المقهى يوجد قناديل زيتية ، هذه القناديل تضاء ليلا . فى المقهى حوض مياه صغير الحجم من الحجر مملوء بالمياه ، يلتف حوله الشباب من الجنسين للعزف بالألات الموسيقية المختلفة و يرقصون ... أيضاً فى الميدان تتم عمليات تجارية جملة و قطاعى و تباع أيضاً الخضروات و الفاكهة مثل التفاح ، البطيخ ، الشمام ، الكمثرى و العنب و أنواع مختلفة من الحبوب مثل القمح و الحبوب الزيتية و تكال بالـ (من)[٦٠] " [٦١].

---

[٥٩] - المصدر السابق : صـ ٥١ - ٥٢

[٦٠] - المن لغة : مأخوذ من المنا الذى يُوزن و مقداره رطلان .
مقدار المن : المن : (٢٦٠) درهماً
فالمن عند الحنفية : (٣,١٢٥) x ٢٦٠ = ٨١٢,٥ جراماً
و عند الجمهور : (٢.٩٧٥) x ٢٦٠ = ٧٧٣.٥ جراماً
جمعة : على جمعة محمد (دكتور) أستاذ أصول الفقه بكلية الدراسات العربية و الإسلامية ، جامعة الأزهر الشريف ،المكاييل و الموازين الشرعية ، القاهرة ، القدس للأعلان والنشر والتسويق ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠١،صـ ٢٨

جاء وصف الأسواق عند الأخوين شرلى بصورة مجملة ، فيقول : " يجب العلم أنه يوجد فى وسط مدينة قزوين مكاناً يسمّونه سوقاً و قد بُنى على نمط أسواق لندن على الرغم من أنه أقل منها جمالا . فى هذا المكان يخصص لكل صنف من التجارة محالا . فى تلك الليلة ، رتّب التجار تجارتهم بصورة مبهرة ، وكانوا يرتدون أزهى الملابس " [٦٢].

و يرى السفير الإسبانى الأسواق فى المدن الايرانية المختلفة بعين السياسى المُحنّك و الرحالة المُجرّب ، فيقول : " لكن ما يمنح هذه المدينة – يقصد مدينة لار – رونقاً و اعتباراً ، وجود مركز تجارى للتجارة النقدية و الذى يسمّونه عرفاً باللغة العربية بازار – سوق – بانى هذه السوق ؛ و الذى يعد بلا أدنى شك من أجمل و أفخم الأبنية فى كل قارة آسيا و الذى يمكن مضاهاته بأعظم الأسواق الأوربية ؛ هو اللهورديخان سلطان شيراز . هذا البناء من الخارج مكعب بشكل كامل . حوائطه مرتفعة للغاية و هى من الحجر الأبيض الصلد و مساحة كل ضلع من أضلاعه مائة و خمسون قدماً مربعاً. فى كل ضلع من أضلاع البناء باب و لكل باب حارس . هذه الأبواب تفتح على طرقات الأسواق الجميلة و ينتهى كل طريق منها إلى وسط السوق بحيث تنقسم من الداخل إلى أربع أسواق من كل واحدة منها يمكن رؤية الأبواب الأربعة الكبرى . فوق هذه الأسواق الأربع شيّدت قبة ضخمة مرتفعة يلفّها من الداخل نوافذ يضئ النور القادم منها كافة جوانب القبة . أسفل القبة أربعة أسقف يغطى كل واحد منها أحد الأسواق الأربع الكبرى و هذه الأسقف من الحجر الأبيض . جدران هذه الأسواق مصقولة بمهارة بحيث يضاهى لمعانها المرمر . تحت هذه الأسقف يوجد إيوانات تسمح بإضاءة المكان بصورة جليّة و لا تسمح لأشعة الشمس أو مياه الأمطار بإلحاق الضرر بداخل الأسواق . أما أرضية البناء فقد غُطيت بقطع حجرية مربعة الشكل من نفس نوع الحجر الذى شيّد منه البناء . فى كل مربع من المربعات التى تشكل الأسواق الأربع ، يوجد أربع أسواق أصغر حجماً و لها قبة و إيوانات تماثل قبة و إيوانات الأسواق الأربع الكبرى . تحت كل إيوان من تلك الإيوانات التى تظلل الأسواق الأربع الصغرى ، يوجد أربع سويقات . و على هذا النحو يتشكّل البناء من عشرين سوقاً و سويقة ، يعنى أربع أسواق كبرى تنتهى

---

[٦١] - اشراقى : مصدر سابق ، صـ ٥١ - ٥٢

[٦٢] - دهباشى : مرجع سابق ، صـ ٦٥

بالأبواب الأربعة و ست عشر سوقاً صغيرة مرتبطة بالأسواق الكبرى . يباع بالمحال على جوانب الأسواق كافة أنواع البضائع و يحصل التجار على متطلبات حياتهم اليومية بأنفسهم من الدكاكين داخل الأسواق و لذلك يقيمون فى السوق طوال النهار . ليلا بعد إغلاق السوق لأبوابها ، يتولى حارس مسلّح حراسة الأسواق ، كما هو الحال المعمول به فى سوق الجملة و سوق الصرافة فى غرناطة ... أما أولئك الذين يُحضرون بضائعهم للبيع فى السوق و ليس لهم محال بها ، يقومون بعرض بضائعهم فى سلال أمام الدكاكين على طول الطريق و يفرشون البسط لاستضافة المرتادين للسوق و المترددين عليه من الصباح و حتى المساء ؛و هم فى مجملهم أكثر عدداً من أولئك المترددين على الأسواق الأوربية ؛ و يحرصون على ترك مساحة كافية لعبور المارة . عرض الأسواق المتصلة بالأسواق الأربع الكبرى عشرون قدماً ، و عرض تلك التى تنتهى بالأسواق الأربع الصغرى من خمس عشر إلى ست عشر قدماً . و يعملون دوماً على الحفاظ على نظافة الأسواق و لا يسمحون لأى شخص حتى حاكم المدينة بالولوج إلى الأسواق ممتطياً دابته " [٦٣].

جاءت نظرة الطبيب الألمانى للأسواق فى ايران بصورة عامة و فى اصفهان بصفة خاصة ، نظرة مجملة ، فيقول : " من الطرف الشمالى – للميدان – مدخل السوق الكبيرة (قيصرية) و الذى من حيث الجمال المعمارى لا يقل عن مسجد الشاه و يواجهه ، بالسوق دهليز تتفرع منه عدة طرقات مسقوفة ، و يُعرض للبيع فى هذه السوق أقمشة حريرية و موشاة بالذهب و منسوجات قطنية و حريرية و أصناف أجنبية أخرى ... و فى مدن ايران الأخرى يطلقون على السوق الكبيرة اسم " قيصرية " . و هذه الأسواق الكبري فى حد ذاتها تمثل معياراً جيداً للوقوف على مدى الرفاهية الاجتماعية و النمو التجارى فى كل مدينة من المدن الايرانية " [٦٤].

و مما سبق نستنتج أن :

- حتى فى الأسواق ، لم يغفل المعمارى الايرانى فى الهندسة الإنشائية استخدام النوافذ للإضاءة ، مع مراعاة تجنب أشعة الشمس و مياه الأمطار .

---

[٦٣] - سميعى : مرجع سابق ، صـ ٨٨ - ٨٩

[٦٤] - جهانداری : مرجع سابق ، صـ ١٩٣ - ١٩٤

- مقارنة الرحالة الأجانب للحضارة المعمارية فى ايران فى العصر الصفوى و الحضارة المعمارية فى بلدانهم ، كانت لصالح ايران ، أو على الأقل تساوت الكفتان .
- عكست الأسواق فى هذا العصر مدى الرفاهية الاجتماعية و النمو الاقتصادى فى كافة المدن الايرانية .
- ارتبط بناء الأسواق ببناء رباطات لإقامة التجار و تخزين بضائعهم ، و كذا وجود المقاهى كأماكن للترفيه و قضاء أوقات الفراغ و عقد اللقاءات و إبرام الاتفاقيات التجارية .

المبحث الخامس :

الجسور و القناطر :

الجسور و القناطر من الأشكال المعمارية التى حفلت بها ايران فى العصر الصفوى ، و قد تعددت الأغراض من إنشاءها ، فهى وسيلة للربط بين المدن التى يقطع التواصل بينها عائق مائى ، و إقامة الجسور يُسهّل الانتقال و التبادل التجارى بين المدن . أيضاً كانت الجسور أحد أماكن الترفيه للتخلص من قيظ الصيف و حرارته ، وذلك بإقامة حجرات بهذه الجسور و أيضاً درجات للنزول منها إلى أقرب نقطة من الماء للتخفيف من الإحساس بدرجات الحرارة المرتفعة صيفاً . أيضاً كان لإقامة الجسور بُعداً عسكرياً ، فهى تُسهّل من حركة الجيوش و تختصر المسافات . أما القناطر ، فبالإضافة إلى ما سبق ، كان لها دوراً فى احتجاز المياه و تحويلها إلى مناطق أخرى لتُشكّل بحيرات للرى ، خاصة فى القصور الشاهنشاهية . و هذا النمط من الأنماط المعمارية يعكس أيضاً جانباً من جوانب الحضارة الايرانية فى العصر الصفوى و الذى قام برصده الرحالة الأجانب و هو ما سنتناوله فى هذا المبحث .

يصف السفير الإسبانى الطريق أثناء تحرك قافلته من شيراز إلى اصفهان مروراً بقرى (زرقان) و (ماهين) و التوجّه إلى الشمال و الشمال الغربى عبر طريق وصفه بالممهد و الذى لم ير و لن يرى مثيله فى ايران ، و وصف الأرض على جانبىّ الطريق أنها تتشابه مع أراضى "استرامادور " فى إسبانيا و مغطاة بالأعشاب الخضراء القصيرة و أيضاً على جانبىّ الطريق و على مسافات قصيرة يوجد برك مياه تمتلئ بالطيور المائية بكميات كبيرة لا نظير لها فى أوربا . و على الرغم من أن

هذه البرك المائية ليست بالعميقة ، إلا أنها يمكن أن تطغى على الطريق و تعيق الحركة . و يضيف : " أقاموا جسوراً ضخمة على الطرق حتى يمكن للمسافرين التحرك بحرية و سلامة خاصة فى فصل الشتاء مع هطول الأمطار و امتلاء البرك بالمياه و طغيانها على الطريق " [٦٥]. و يوضح دن گارسيا أن بانى هذه الجسور هو اللهورديخان الذى ينسب إليه كافة الإنجازات الضخمة و الجليلة فى ولاية فارس .

أوضح الطبيب الألمانى انگلبرت كمپفر فى وصفه لاصفهان ، أن : " أقيمت الجسورالرئيسة على نهر (زاينده رود) و منها واحد يقع إلى الغرب من المدينة ، و هو جسر قديم ، بناؤه بسيط من الحجر و الآجر ، بُنى فى عهد الشاه طهماسب. لهذا الجسر سبع عشر بوابة كبيرة ، أُضيفت إليها اثنتى عشرة بوابة صغيرة ، و نظراً لاختلاف و تنوع الطرز المعمارية لهذه البوابات الصغيرة ، يتضح أنها أضيفت إلى البوابات الكبيرة ، لكن جميعها لا يصل لقاع النهر "[٦٦].

و يصف كمپفر ثانى الجسور على نهر (زاينده رود) ، فيقول : " أقيم الجسر الثانى على بُعد سبع آلاف و ستمائة قدماً من الجسر الأول ، وهو من المكعبات الحجرية و الآجر ، و قد أمر بإقامته اللهورديخان قبل حوالى ثمانين عاماً . يربط الجسر بين طريق (چهارباغ) و الحديقة السلطانية (هزار جريب) . الجسر مزوّد بثلاث و ثلاثين بوابة كبيرة ، عدد قليل منها أصغر حجماً من الأخريات ، و يُعد الجسر فى المجمل أحد الأعمال المعمارية الجليلة ، و قد فرشوا أرضية الجسر بالحجر غير المهذّب ، ترتفع الحوائط الجانبية للجسر لعدة أمتار . بالإضافة إلى ممر الوسط المخصص لمرور المركبات التى تجرها الدواب ، هناك ممشيان جانبيان لعبور المشاة من جهة إلى الجهة الأخرى دون التعرض للخطر من راكبى الدواب . للممشيين الجانبيين المخصصان لعبور المشاة بوابات من الاتجاهين . كذلك يوجد بالحوائط بوابات تفتح على الماء ، بعبورها يمكن الهبوط على عدة درجات للاقتراب من الماء . ففى فصل الصيف ينحصر الماء فى هذه النقطة من النهر ، بحيث يمكن عبور النهر على صهوة جواد دون الحاجة للعبور من على الجسر ، و أحياناً يمكن اجتياز النهر سيراً على الأقدام دون أن تبتل الملابس . حوائط الجسر من الخارج مزدانة بإيوانات على النحو التالى ، إيوان عند كل قاعدة من قواعد الجسر ، و

---

[٦٥] - سميعى : مرجع سابق ، صـ ١٦٧

[٦٦] - جهانداری : مرجع سابق ، صـ ١٨٨

إيوانان عند كل بوابة من بوابات الجسر . عند مدخل الجسر من الجانبين أقيمت آرائك للاستراحة و الاستمتاع بالمنظر الجميل . يبلغ طول جسر اللهورديخان أربعمائة قدماً ، و عرضه اثنتى عشرة قدماً ، و يبدأ الجسر و ينتهى بأبنية ذات أعمدة مخروطية الشكل تزيد من طول الجسر إلى أربعمائة و تسعين قدماً "[٦٧].

لا يختلف كثيراً ما ذكره الطبيب الألمانى عما ذكره السفير الإسبانى عن هذا الجسر ، فيقول : " ينتهى الطريق بجسر أقاموه على نهر (زاينده رود) يُعد من أفضل الآثار المعمارية فى الدولة الشاهنشاهية ايران . هذا الجسر إن لم يكن أفضل من السوق الكبيرة فى لار ، فهو على الأقل يضاهيها . هذا الجسر من إنشاءات اللهورديخان و الذى أوغر قلوب أعداءه فادّعوا أنه بناه بأموال الشاه . لكن الحقيقة أنه بناه من أمواله الخاصة . مستوى مياه النهر فى هذه النقطة ضحل للغاية ، لكن النهر عريض فى تلك النقطة ، بحيث يمكن الحدس أن منسوب المياه فى تلك النقطة يماثل منسوب المياه فى نهر (خنيل) فى إسبانيا ... يبلغ طول الجسر من نقطة إنشاءه إلى منتهاه ثلاثمائة قدماً[٦٨] ... عرض الجسر يسمح بمرور مركبتين إلى جوار بعضهما البعض ... أقيم على جانبىّ الجسر مسنّنات لحماية الأرواح بارتفاع رمح ، بفاصل عشر أقدام بين كل منها ، و أقيمت فى الفواصل نوافذ تتيح رؤية النهر و التجمعات السكنية على شاطئه ، أعلى الجسر و على سقفه يوجد ممشيان مسقوفان للمشاة ... سقف مسنّنات حماية الأرواح ، يبلغ عرضه من أربع عشر إلى خمس عشر قدماً فى كل جانب من جانبىّ الجسر ، و على هذا النحو يحتوى جسر اللهورديخان على خمسة طرق ، بمعنى الطريق فى الوسط المخصص لعبور المركبات و الدواب و الممشيان المسقوفان على الجانبين و الطريقان على السقف المدعوم بمسنّنات حماية الأرواح . و الأخران ، نظراً لموقعهما و إمكانية المشاهدة من خلالهما ، هما الأكثر استخداماً [٦٩].

يصف انگلبرت كمپفر فى يوميات السفر إلى ايران جسراً ثالثاً على نهر (زاينده رود) ، فيقول : " الجسر الثالث و الذى يبعد ألفىّ قدماً عن الجسر الأول و يعرف

---

[٦٧] - المرجع السابق : صـ ١٨٩

[٦٨] - يلاحظ هنا الاختلاف فى تحديد طول الجسر بين ما أورده السفير الإسبانى و ما ذكره الطبيب الألمانى ، و يخرجنا من هذا الخلط مترجم سفرنامهء دن گارسيا ، فقد ذكر فى هامش صفحة ٢٢١ ، أن طول الجسر ثلاثمائة متراً و عرضه عشرة أمتار.ويوضح ما ذكره المترجم أن ما جاء به كل من الرحالة الأجانب كان تقديرياً وليس قياساً فعلياً .

[٦٩] - سميعى : مرجع سابق ، صـ ٢٢١ - ٢٢٢

بجسر حسن آباد أمر بإنشائه الشاه عباس الثانى . لهذا الجسر جمال خاص؛ فقد غطوا الجزء الأعظم من جدرانه الخارجية بالقيشانى اللامع ، يبدأ هذا الجسر من الجزء الشرقى لمدينة اصفهان من وسط شارع خواجو بزرگ العريض ، و ينتهى إلى الحدائق الملكية أو الطريق الرئيس الذى يؤدى إلى شيراز و الخليج ، نريد القول إن هذا الجسر يفوق من الناحية الفنية سائر الجسور الأخرى ، و ذلك نظراً للممرات ذات الأعمدة على جانبيه ، و النقوش الجصية المتعددة و المتنوعة ، و النوافذ و الإيوانات و كذا التزينات الجمالية التى أضيفت فى وسط الجسر و على جانبيه ، و التى منحته جمالا خاصاً . يحتوى الجسر على أربع و عشرين بوابة من مكعبات حجرية قطعت بدقة ، بها سدود خشبية لحجز المياه و التى تحوّل نهر (زاينده رود) إلى بحيرة فى حديقة سعادت آباد" [٧٠].

و مما سبق نستنتج أن :

- شكّلت البيئة الطبيعية أحد أهم العوامل للإبداع المعمارى فى ايران فى العصر الصفوى ، فكانت الجسور لربط المدن ببعضها البعض لتيسير التبادل التجارى ، و الترفيه عن الشعب فى فصل الصيف ، كما كان لها دوراً من الناحية العسكرية و الزراعية ، لكن هذا الدور يخرج عن موضوع الدراسة .
- الأبعاد التى أوردها الرحالة الأجانب من طول و عرض المبانى و الجسور التى قاموا بوصفها ، هى أبعاد تقديرية و ليست فعلية .
- تطور فن المعمار فى عهد الشاه عباس الثانى عما كان عليه فى عهد الشاه عباس الكبير و فقاً لما يذكره الطبيب الألمانى عن الجسور على نهر زاينده رود .

---

[٧٠] - جهانداری : مرجع سابق ، صـ ١٩٠

أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة :

١- تنوّعت جنسيات الرحالة الأجانب الذين قامت على كتبهم الدراسة ، بين الروسى ، الإسبانى ، الانجليزى و الألمانى . و قد انعكس هذا التنوع أيضاً فى اختلاف ثقافاتهم و حضاراتهم .

٢- على الرغم من هذا التنوّع ، إلا أن الدافع للتوجّه إلى ايران قد انحصر فى نقتطين أساسيتين ، آلا و هما : تجارة الحرير مع ايران و التى كان يحتكرها شاه ايران ، و عقد اتفاقيات مع ايران لخلق تحالف ضد الامبراطورية العثمانية .

٣- لعبت المذهبيّة دوراً هاماً فى اختيار الدول الأوربية لايران الشيعية المذهب لتحفيز ملكها لخوض الحرب ضد الامبراطورية العثمانية سنيّة المذهب .

٤- انعكس الهدف من التوجّه إلى الدولة الصفوية بوضوح فى سلوك كل من آنتونى شرلى و دن گارسيا فى اتباع التقاليد الايرانية ، ففى حين انصاع الانجليزى لتطبيق هذه التقاليد، و المتمثلة فى تقبيل عتبة القصر الشاهنشاهى، رفض السفير الإسبانى القيام بذلك ، باعتباره سفيراً لملك إسبانيا . فى المقابل ، اختلف تعامل شاه ايران مع كل منهما ، فكان ترحابه بالأخوين شرلى و اتخاذهما سفراء له إلى أوربا ، و عرقلته رحلة عودة السفير الإسبانى لحين عودة ربرت شرلى من أوربا .

٥- تعدد المناطق التى دخل منها الرحالة إلى ايران أتاح لهم فرصة كبيرة للتنقل بين مدنها و قراها و مناطق إقامة بدوها ، و رصد الحضارة الايرانية فى تلك المناطق ، و هذا التعدد يتيح للباحث فرصة عظيمة للوقوف على الجوانب الحضارية التى قاموا برصدها و غيّبتها يد الزمن .

٦- عقد الرحالة مقارنة بين الحضارة فى بلدانهم و الحضارة الايرانية ، بل تخطى بعضهم حضارة بلده إلى المقارنة مع حضارات الدول التى قام بزيارتها .
٧- جاء رصد الرحالة الأجانب للحضارة الايرانية وفقاً لاهتمام و تخصص كل منهم ، وهذا ما يتضح من تباين فى الوصف بين ما أورده التاجر الروسى و ما رصده الطبيب الألمانى و ما اهتم بوصفه السفير الإسبانى . و ما أختصر وصفه الانجليزى .
٨- يتضح مما كتبه الرحالة التفاوت الحضارى فى المدن و خاصة العاصمة عن المناطق الأخرى .
٩- العناصر الحضارية التى رصدها الرحالة الأجانب فيما كتبوا ، أوضحت بما لا يدع مجالا للشك مدى الغنى و الثراء الذى كانت تتمتع به ايران الصفوية ، لكن هذا الثراء انعكس فى أبنية أبرزت حضارة الصفويين المعمارية و لم يتمتع بها الشعب ، و هذا ما نجده فيما ذكر السفير الإسبانى أثناء مروره من جنوب ايران إلى شمالها .
١٠- شكّلت البيئة الطبيعية أحد أهم العوامل للإبداع المعمارى فى ايران فى العصر الصفوى ، فكان ارتفاع مدخل البنايات و الحجرات فى الأفنية و المصاطب بمقدار قدمين لتجنب تسرب مياه الأمطار إلى الداخل . كذلك كانت الجسور لربط المدن ببعضها البعض لتيسير التبادل التجارى و الترفيه عن الشعب فى فصل الصيف ، كما كان لها دوراً من الناحية العسكرية و الزراعية ، لكن هذا الدور يخرج عن موضوع الدراسة .
١١- من أبدع ما تفتقت عنه العقلية الايرانية ، تغطية أسقف المنازل فى القرى بالطين المخلوط بالتبن ، والذى تنمو فيه الأعشاب عقب هطول الأمطار ، مما يجعل أسقف المنازل خلال فترات الصيف و مع ارتفاع درجات الحرارة ، متنزهاً خاصاً لأصحاب المنزل .
١٢- اختلفت طرز البناء فى العاصمة عنه فى المدن الأخرى ، كذلك تطور نمط البناء من عهد الشاه اسماعيل إلى عهد الشاه عباس الثانى ، فنجد قصر الحريم فى عهد الشاه اسماعيل له سقف من الخشب المغطى بالطين المخلوط بالتبن و الذى يجرى تدعيمه بصورة دورية ، فى حين كان قصر الحريم فى عهد الشاه عباس الكبير مبنياً من الحجر و الآجر ، أو بالأحرى قد

اتخذ شكلا مدنياً بحتاً . كذلك تطورت الطرز المعمارية للجسور من عهد الشاه عباس الثانى عنها فى عهد الشاه عباس الكبير .

١٣- لم تقتصر الحضارة المعمارية على الأبنية التى أمر بإنشائها ملوك الصفوية فحسب ، بل تعدتها إلى الأبنية التى أمر بإقامتها رجال القزلباش من أموالهم الخاصة .

١٤- اهتم المعمارى فيما شيّد من أبنية ، قصور كانت أو أسواق أو حتى رباطات ، بتوفير الإضاءة من خلال كوّات و نوافذ فى قبة البناء و حوائطه . كما انصب اهتمامه على معادلة دراجات الحرارة داخل البناء صيفاً و شتاءً .

١٥- امتزاج الحضارة الايرانية بالحضارة الأوربية يبدو جلياً فى التابلوهات الفنية التى قام برسمها رسامون غربيون

١٦- انقسمت الأسواق الايرانية إلى قسمين ، الأول أسواق عامة يباع و يشترى بها كل أنواع البضائع المحلية و الأجنبية ، و الثانى أسواق متخصصة فى بيع أصناف محددة ، وقد عرفت هذه الأسواق بنوع البضائع المباعة بها ، فنجد سوق السلاح ، الفحامين ، النحاسين و غيرها . وشكّل الحجر و الآجر العنصر الرئيس فى البناء . و حوت المحال أدواراً علوية للتخزين ، بالإضافة إلى مصطبة أمام كل محل لعرض البضائع . جاءت الأسواق مسقوفة للحفاظ على المعروضات من أمطار الشتاء و قيظ الصيف . إفادة كاتُف بوجود حجرات روسية فى الرباط الصغير فى السوق ، يدلل على الامتزاج الحضارى بين ايران الصفوية و روسيا القيصرية .

١٧- جاورت المقاهى الأسواق و هى أماكن للترفيه و عقد اللقاءات و الصفقات التجارية .

١٨- نُسبت كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا ايران فى العصر الصفوى ، و التى قامت عليها الدراسة ، إلى رؤساء البعثات ، و الصحيح أن كاتب هذه الكتب هم الكُتّاب الذين كانوا برفقة البعثات ، و لأن لكل قاعدة استثناء ، نجد الاستثناء عند انگلبرت كمپفر ، و الذى كان كاتب البعثة التى أرسلها ملك السويد إلى ايران و طبيبها .

المصادر و المراجع باللغة العربية :

- **ابن الأثير** : عز الدين أبى الحسن على بن عبد الكريم الجزرى ، الكامل فى التاريخ ، بيروت ، ١٩٨٢ م
- **ابن بطوطة** : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجى ، تحفة النظار فى غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩١٧ م
- **الشاذلى** : أحمد عبد القادر (دكتور) ، الحضارة الإسلامية و قطوفها الدانية فى علوم اللغة العربية و اللغات الإسلامية ، دار الحسين للطباعة و النشر ، شبين الكوم ، ١٩٩٦ م
- **الصياد** : فؤاد عبد المعطى (دكتور) ، المغول فى التاريخ ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠ م
- **جمعة** : على جمعة محمد (دكتور) ، المكاييل و الموازين الشرعية ، القاهرة ، القدس للإعلان و النشر و التسويق ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠١ م
- **حمدى** : حافظ أحمد (دكتور) ، الدولة الخوارزمية و المغول : غزو چنگيزخان للعالم الإسلامى و آثاره السياسية و الدينية و الاقتصادية و الثقافية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٤٩ م
- **شپولر** : برتولد ، العالم الإسلامى فى العصر المغولى ، تعريب : خالد أسعد عيسى ، دمشق ، دار حسان ، ١٩٨٢ م
- **مؤنس** : حسين (دكتور) ، الحضارة ، الكويت ، ١٩٧٨ م
- **ندا** : طه (دكتور) ، فصول من الحضارة الإسلامية ، بيروت ، ١٩٧٦ م

المصادر و المراجع الفارسية :

- **ابن جبیر** : محمد بن احمد ، سفرنامهء ابن جبیر ، ترجمهء پرویز اتابکی ، مشهد ، چاپ و انتشارات قدس رضوی ، ۱۳۷۰ هـ . ش
- **ابو الدلف الینبعی** : سعر بن المهلهل ، ترجمهء سید ابو الفضل الطباطبائی ، با تعلیقات و تحقیقات : ولادیمیر مینورسکی ، استاد دانشگاه لندن ، تهران ، انتشارات زوار ، چاپ دوم ، ١٣٥٤ هـ . ش
- **اشراقی** : فیروز ، اصفهان از دیدن سیاحان خارجی ، اصفهان ، آتروپات ، ۱۳۷۸ هـ . ش
- **افراشته ای** : محمود بن هدایت الله ، نقاوة الآثار فی ذکر الاخبار در تاریخ صفویه ، به اهتمام احسان اشراقی، تهران ، انتشارات علمی و فرهنگ ، چاپ دوم ۱۳۷۳ هـ . ش
- **برن** : رهر ، نظام ایالات در دورهء صفویه ، ترجمهء کیکاووس جهانداری ، تهران ، بنگاه ، ١٣٤٩ هـ . ش
- **تاورنیه** : ژان باتیست ، ترجمهء ابو تراب نوری ، با تجدید نظر کلی و تصحیح دکتر حمید شیرانی ، تهران ، از انتشارات کتابخانه سنائی
- **ترکمان** : اسکندر بیك ، شهیر بمنشی ، تاریخ عالم آرای عباسی ، تهران ، امیرکبیر ، چاپ سوم ، ۱۳۸۲ هـ.ش
- **دریابل** : ژرژ تکتاندر فن ، گزارش به در بار پادشاه عباس اول ، ترجمهء محمود تفضلی ، تهران ، بنیاد فرهنگ **ایران** ، **۱۳۵۱** هـ.ش
- **دلاواله** : پیترو ، سفرنامهء پیترو دلاواله ، قسمت مربوط به ایران ، ترجمه و شرح و حواشی از شعاع الدین شفا ، تهران ، شرکت انتشارات علمی و فرهنگی ، ١٣٠٦ هـ .ش
- **دهباشی** : علی ، سفرنامهء برادران شرلی ، تهران ، نگاه ، ١٣٦٢ هـ . ش
- **جهانداری** : کیکاووس ، سفرنامهء کمپفر ، تهران ، شرکت سهامی خوارزمی ، چاپ سوم ، ١٣٦٣ هـ . ش
- **سمیعی** : غلامرضا ، ترجمهء سفرنامهء دن گارسیا دسیلوا فیگوئروا ، سفیر إسپانیا در دربار عباس اول ، تهران ، نشر نو ، ١٣٦٣ هـ . ش
- **سیوری** : راجر ، تحقیقاتی در تاریخ ایران عصر صفوی (مجموعهء مقالات) ، ترجمه : عباسقلی غفاری فرد ، محمد باقر آرام ، تهران ، انتشارات امیرکبیر ، ۱۳۸۲ هـ . ش

- **شاردن** : ژان ، سیاحتنامهء شاردن ، ترجمه : محمد عباسی ، با حواشی و تعلیقات و توضیحات لغوی و تاریخی و فرهنگی اصطلاحات و فهارس اعلام و تصاویر عتیق و باستانی ، تهران ، دائرة المعارف تمدن ایران ، ۱۳۳۵ هـ . ش
- **شفا** : شعاع الدین ، سفرنامهء پیترو دلاواله ، تهران ، نشر شرکت انتشارات علمی و فرهنگی ، چاپ چهارم، ۱۳۸٤ هـ . ش
- **منجم یزدی** : ملا جلال الدین محمد ، تاریخ عباسی یا روزنامهء ملا جلال ، به کوشش سیف الله وحیدنیا ، تهران ، انتشارات وحید ، ۱۳٦٦ هـ . ش
- **همایونفرد** : محمد صادق ، عبد العلی سیاوش ، سفرنامهء فدت آفاناس یویچ کاتف ، تهران ، کتابحانهء ملی ایران ، ۱۳٥٦ هـ . ش
- **هوشنگ مهدوی** : عبد الرضا ، تاریخ روابط خارجی ایران ، تهران ، امیر کبیر ، ۱۳۹۳ هـ . ش

الدوريات الفارسية :

- **شفیعی** : سیروس ، مهدی روشن ضمیر ، سیاحان آلمانی که در عصر صفوی از ایران دیدن نموده اند ، ماهنامه هنر و مردم ، آبان ۱۳٥۰ هـ .ش
- **ططری** : علی ، کمپفر سفرنامهء نویسی متفاوت ، ماهنامه پیام بهارستان ، دی ۱۳۸۳ هـ . ش
- **عالمی** : مهوش ، باغهای شاهی عهد صفوی و روابط آنها با شهر ، مجله معماری و شهر سازی ، ۱۳۷۷
هـ . ش
- **مبین** : ابو الحسن ، ایران عصر صفوی از نگاه انگلبرت کمپفر ، ماهنامه کتاب ماه تاریخ و جغرافیا ، آذر ۱۳۷۹ هـ . ش
- **ورنر** : کریستف ، نامه ها و مکاتبات انگلبرت کمپفر ، ماهنامه کتاب ماه تاریخ و جغرافیا ، آذر ۱۳۷۹ هـ.ش

المعاجم العربية :

- **الرازی** : الشیخ محمد بن أبی بکر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، عنی بترتیبه : محمود خاطر ، القاهرة ، دار المعارف ، ۱۹۹٤ م
- **أمین** : محمد محمد (دکتور) و لیلی علی إبراهیم ، المصطلحات المعماریة فی الوثائق المملوکیة ، القاهرة ، دار النشر بالجامعة الأمریکیة ، ۱۹۹۰م

- **مصطفى** : إبراهيم و أخرون ، المعجم الوسيط ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٠ م

المعاجم الفارسية :

- فرهنگ جغرافیائی ایران ، از انتشارات دایره جغرافیائی ستاد ارتش ، تهران ،چاپخانه ارتش ، ١٣٢٨ هـ.ش

المواقع الإلكترونية :

- **محتشمی**:مهرنوش
www.radiofarhng.ir